نحو وعى اسلامى (٤١)

79-960729

أحقاد وأطماع التبشير
فى أفريقيا المسلمة

د. عماد الدين خليل



د. عماد الدين خليل

أحقاد وأطماع التبشير
في أفريقيا المسلمة

المختار الاسلامي
للطباعة والنشر والتوزيع
ص . ب ١٧٠٧ القاهرة

الطبعة الثانية

١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم

رافق النشاط التبشيرى ، بقطاعية الكاثوليكى والبروتستانتى، كلا الاستعمارين القديم والجديد مهد لهما ، وفتح أمامهما الطريق ، ولقى بدوره تشجيعا وحماية واسعة النطاق شملت كل احتياجات هذه المؤسسات المالية والعسكرية والسياسية والثقافية . فكان محتوم اذن أن ـ يعمل كل الطرفين ، فى العقود التالية ، فى جو من التعايش السلمى والتخطيط المشترك وكان من المحتوم اذن أن يعمل الطرفان على سحق كل ما يشكل عائقا يحول دون تحقيق أهدافهما المشتركة ، ولا ريب أن الحركات الاسلامية كانت تشكل السد الأعظم أمام محاولات هؤلاء .

اولا : وجد الاستعمار القديم المسلمين يقودون حركات المقاومة والكفاح المسلح ، بدافع من ايمانهم العميق بالجهاد ، وبأن أى مسلم يوالى الكفار الدخلاء فهو منهم ، فمن يتولهم منكم فهو منهم ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. وقد تميزت هذه الحركات بالفدائية وبذل كل ما تملك فى سبيل تحقيق كلمة الله .. وقد حذر السيد Gwcarope (١٩٥٥) وهو الأمين العام المثل للمجلس الافريقى فى قسم البعثات الأجنبية للمؤتمر الوطنى لكنائس المسيح فى الولايات المتحدة من الخطر الاسلامى ضد الاستعمار الغربى بقوله : (وهكذا فان الاسلام فى افريقيا يهيىء مركز الحشد لكل أولئك الذين يقاومون التدخل الغربى نشاطه او سيطرته) .

The Role of Christianity and I slamic Contem Poravy Africa وذكر (١٩٦٥) Bryan انه « فى المستقبل القريب سيجد الغربيون أنفسهم فى صدام مع ثقافة

موحدة أكثر عداء لتدخلهم مما شوهد اطلاقا تحت الظروف القبلية »
وفى الوقت نفسه يظهر دهشته الكبيرة من قوة الاسلام فى أفريقيا مستشهدا بقول المبشر (Billylyraham) أما جون تايلور ، الخبير بالشئون التبشيرية ، فيضع فى كتاب (المسيحية والسياسية فى أفريقيا) المخططات التى يمكن بواسطتها السيطرة على الأمور السياسية ، وتوجيه الانتخابات ، وتحطيم المسلمين ، الذين هم العثرة الأساسية ضد الاستغلال الاستعمارى فى أفريقيا ، ويسجل بريان شكوى الشبيبه الأفريقية الحرة من نشاط المبشرين الاستعمارى ، بعبارات الأفريقيين أنفسهم (فى الأول كنا نحن نملك الأرض ، أما هم فكانوا يحملون الانجيل ، أما الآن فقد أصبحوا يملكون الأرض ، وتركونا نحمل الانجيل) لا يوجد فى الانجيل شىء عن جمع الأموال من اتباع الكنيسة .. ولكن هؤلاء المبشرين يجمعون من الكبير والصغير وعندما يصلى هؤلاء المبشرون يجعلوننا نرفع رؤوسنا الى السماء ، والسبب انهم ينظرون الى أسفل الأرض طمعا فيها .. ذلك الذى يفكرون به دائما . (يعطوك السماء ليأخذوا الأرض) وهكذا يبدو أن الاستعمار الجديد وجد هو الآخر فى المسلمين قوى واعية تملك ، أكثر من غيرها الوسائل التى تستطيع أن تكشف بها أخطار هذا الاستعمار وأبعاده ، ومن ثم فهى تشكل خطرا مباشرا عليه ، وتهدد وجوده الخفى بتمزيق أستاره وكشف أقنعته المزيفة .

ثانيا : ومن البديهى أن تجد المؤسسات التبشيرية فى الاسلام خطرا حقيقيا ، وندا قويا لنشاطها وجهودها ليس بما يمتلك المسلمون من امكانيات الدعوة والانتشار فى أرض أفريقيا ، ففى هذه النقطة بالذات بدا التفوق واضحا للمؤسسات التبشيرية التى

تسندها أغنى الدول واقواها ولكن بما فى الاسلام نفسه من حيوية وسماحة ووضوح واندفاع ذاتى واقناع ، تقف وراءه دائما العناية الالهية التى جعلت من هذا الدين طريق البشرية الأخيرة .

وهكذا يبدو طبيعيا حدوث تعاون كهذا بين الاستعمار والتبشير لايقاف الخطر الاسلامى عند حده ومحاولة سحقه . ومن ثم فان أية دراسة لنشاط المؤسسات التبشيرية فى أفريقيا سوف لن تكتمل وتتضح الا بادراك هذا الرباط الحتمى بين الاستعمار والتبشير .. فمن هذا الطريق يجد المبشرون امكانات واسعة النطاق مادية ومعنوية ، سياسية وعسكرية ، ثقافية واعلامية ، لو هيىء للمسلمين عشر معشارها لتمكنوا من فتح أفريقيا ، وضم معظم أبنائها الى عقيدة السماحة والوضوح الا آن الذى يجد من فاعلية هذه الامكانات العائلة للمؤسسات التبشيرية ، انما هو طبيعية المسيحية نفسها بشكلها البروتستانتى والكاثوليكى ، تلك التى تنبثق فى أساسها وتصوراتها عن الغبش الذى أحاط به القديس بولس نقاء المسيحية الأولى وتوحيدها الخالص ، ووضوحها واقناعها . فضلا عن القيم والتصورات الوثنية التى نفذت الى أعماق العقيدة المسيحية عندما وجدت فى أوربا ـ الكلاسيكية ـ المجال الرئيسى لنشاطها وعملها ووجدت فى الدولة الرومانية ، الوثنية السلوك والتصور الحامى الدولى لها .

ومع هذا فان الأيام تمضى لغير صالح الحركات الاسلامية فى أفريقيا ، لأنه على كل ما يملكة الاسلام من حيوية ووضوح وسماحة واقناع ، وعلى كل ما يحيط بالمسيحية من جمود وغموض وقيود فان الوسائل تنتزع ـ بمساعدة القوى الاستعمارية ـ من أيدى ـ

المسلمين يوما بعد يوم ، وتتضخم بايدى المبشرين يوما بعد يوم وهكذا نجد الظروف المعاشية والنشاط الاقتصادى يتحول لصالح المسيحيين الجدد ، بينما يتعرض المسلمون لتجويع وفقر لا يحتملان .. كما نجد التعليم والتثقيف ينصب على المسيحيين . بينما نجد المؤسسات التعليمية الاسلامية رقابات شديدة وتدميرا مستمرا ، كما نجد النشاط الاعلامى ينصب لخدمة التبشير بينما تكتم كل الأصوات التى تصدر عن الدعاة الاسلاميين وتحرق كتبهم ونشراتهم ويحرم تداولها بقوة السلطات البوليسية .

وفوق كل هذا ـ وهنا تبلغ المأساة ذروتها ـ تقوم الثورات المصطنعة ، باسم التحرر لتقضى على ما تبقى من قادة سياسيين لهم بعض العطف على القيم والدعوة الاسلامية ، لينصب مكانهم قادة وزعماء صنعوا على عين الكنيسة ورعايتها ، وهم فى الوقت نفسه عملاء مستورون أو مكشوفون للاستعمار القديم أو الجديد .. وحتى فى الدول التى تزيد نسبة المسلمين فيها عن التسعين بالمائة تقوم انقلابات كهذا لترفع الى كراسى الحكم ولتوجيه العناصر المسيحية ، ولتزيد من تجريد المسلمين ـ على كثرتهم ـ من الوسائل والظروف التى تمكنهم من العمل ، بل من الحياة . ولا بد لنا من ذلك من استعراض سريع لبعض صور ونماذج النشاط التبشيرى ومدى صلته الحيوية بالاستعماريين القديم والجديد [الامبريالية] ، وطبيعة الأساليب المتبعة لتشويه القيم والأفكار والتاريخ الاسلامى فى أذهان الأفارقة ، من أجل تهيئة الأرض الصالحة لمد النفوذ الكنسى ـ الاستعمارى هناك .

فى كتاب التاريخ الذى يدرس فى الصف السادس والصفوف الاولى المتوسطة ، والذى ألفه [جورج ديوآرد] مدير مدرسة ابتدائية فى الكونغو ، تلفت انتباهنا هذه الفقرات المترجمة عن الدرس التاسع من الكتاب .. لكن قوانين دولية حرمت تجارة الرقيق حيث انتهت عبر شاطىء الأطلنطى على آن العرب استمروا فى ذلك بل وضخموا هذه التجارة لقد كانوا يصطادون ضحاياهم من الشواطىء الأفريقية الواقعة على البحر الأحمر والمحيط الهندى وعندما وصلوا الى زنجبار سنة ١٨٣٠ سيطروا على البلاد المجاورة وتقدموا الى داخل أفريقيا ثم توغلوا فى الكونغو حوالى سنة ١٨٦٣ وأسسوا سوقا للرقيق فى بلده [نيا نغوية] ، ومنها تشعبوا فى جميع الاتجاهات وسيطروا على ما يقرب من نصف الأرض الكونغوية ، ينهبون القرى ويبيدون كل من يجرب آن يقاومهم .... يقودون الأسرى بالألوف من أطفال ورجال ونساء وشابات لكن كيف كان يفعل العرب ؟ هل كانوا كثيرين الحق لا فلقد كانوا هم المنظمون فقط كانوا رؤساء هذه الصفقات وكان فى خدمتهم ألوف من الأفريقيين المسلمين الذين استأجروهم من السودان ومن بقية بلدان الشمال الشرقى الأفريقى المستعمرية .. كان كل هؤلاء الاستعباديين الفلاظ مسلحين بالسيوف والبنادق بينما لم تكن ضحاياهم تستطيع الدفاع عن نفسها الا بأسلحة ابتدائية .. كان صيادو العبيد يتبعون دائما نفس الاسلوب يحاصرون القرية ، يقتلون قسما كبيرا من الرجال ، ثم ينسحبون سائقين امامهم بقية السكان حيث يقتلون فى الطريق كل ما يستطيع التقدم ، وذكر المكتشف [ليفينفستون] انه من احدى القرى اتوا باربعمائة شخص قتلوهم بالرصاص وآخذوا الباقى للبيع ،

وان هذا الجيش من العرب والمستعربين قضوا على ٢٧ قرية فى مدى يومين كان العبيد الكونغويون يصدرون الى مصر والجزيرة العربية وتركيا وايران وحسب تخمينات الدكتور [شاربونييه] فقد قتل العرب فى مدى أربعين سنة وباعوا أكثر من خمسة عشرة ألفا من الكونغويين لكن شيئا فشيئا وبواسطة المقالات التى نشرها أوائل المكتشفين ، عرف الأوربيون هذا الوضع واهتم بذلك كثيرا من الكاردينال [لافيجرى] وملك بلجيكا [ليوبولد] الثانى واندفعا للعمل بقوة .. سبع دروس تسير على هذا المنوال عدا من المتفرقات هنا وهناك للذكرى ثم يذكر المؤلف فى مكان آخر استجابة الملك [ليوبولد] الثانى لنداء البابا وارساله الجيوش لتخليص الكونغو من العرب المستعبدين وطردهم بعد سنتين من الكفاح ثم تأسيس أول دولة كونغوية مستقلة عاصمتها بروكسل [عاصمة بلجيكا] وملكها [ليوبولد] الثانى ملك بلجيكا .

وذكر [ستيفن نيل] فى كتابه (تاريخ الارساليات التبشيرية ص ٤٨٧ فيما بعد) « أن محاولات جديه قامت فى الغرب ، فى الوقت الذى كان فيه الاسلام يواجه المصاعب أثر اندحار العثمانيين فى الحرب العالمية الأولى محاولات لتغيير الموقف السلبى القاسى الذى وقفه المبشرون . السابقون من الاسلام . بموقف أكثر ايجابية ولياقة وعلينا أن نخلط بين هذا الموقف والمواقف التى سبقته والتى تميزت بطابع الليبرالية ولكنها فشلت فى تقديم الاختلافات بين الأديان .. ولقد استفاد المبشرون كغيرهم من الغربيين من المعلومات المتوافرة التى جمعها عدد كبير من المستشرقين عن العالم الاسلامى .. [وحددت] خطة يمكن بواسطتها قيام مناقشة مفتوحة حرة [بين الديانتين] لا بد أنها ستلقى ترحيبا محدودا لم يكن

قط ممكنا فى الأجيال الماضية .. وعلى كل حال ، فلا هذه الخطة ولا أى خطة أخرى غيرها أوصلتنا الى ربح عدد محترم من المسلمين الى الديانة النصرانية . الا أن تأثير التبشير فى الاسلام هو أهم بكثير من عدد المسلمين القليل الذين تركوا الاسلام ودخلوا فى النصرانية . وأننا لنجد هذا التأثير واضحا فى أسلوب العرض الحديث لشخصية محمد فلقد عرضت النقط باسلوب بارع اصبحت معه صورة حاكم الصحراء العربية . مشابهة تماما لنجار الناصرة [عيسى عليه السلام] وهذا أمر لم يكن يتصوره المستشرقون السابقون .

وتدل التقارير الواردة عن النشاط التبشيرى الواسع فى أنحاء أفريقيا على أن أهم الخطوط الجديدة البارزة فى هذا النشاط هى اولا المبادرة الى أكبر عدد ممكن من القسس والمبشرين السود ، ثانيا توجيه عدد من الاكفاء الذين يعول عليهم من رجال اللاهوت الى التخصص فى العلوم المدنية والسياسية كى يشرفوا على المؤسسات ذات ظاهر علمانى لامداد الافارقة فى الشئون الادارية والاقتصادية ثالثا : الترخص فى بعد المسائل الدينية التى لا تناسب المزاج الأفريقى ، كتحريم تعدد الزوجات ـ مثلا ـ حيث صدرت التعليمات العليا المكتوبة باباحة ذلك لمن يعشق المسيحية فى أفريقيا .

وفى رسالة بعث بها [احسان حقى] مؤلف كتاب [أفريقيا الحرة] الى مجلة (المسلمون من باريس) نلتقى بمزيد من الأساليب التى اعتمدها التبشير والاستعمار فى أفريقيا حيث يقول « لقد عاشت أفريقيا عشرات من السنوات مضطهدة معذبة مغلوبة على

أمرها ، اذ تكالبت عليها الحكومات والقسس معا ، وعمل الجميع جاهدين لتنصيرها ولكنهم لم يفلحوا وقد بلغ من تعسف المستعمرين فى أفريقيا أنهم كانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين ، فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الاسلامية ويتبرعون بها للكنائس لا بل قد ارتكبت بعض الحكومات أفظع من ذلك اذ أنها كانت تنتزع من أموال الأوقاف مبالغ طائلة تدفعها للمسيحيين لاطعام حمام الكنائس بينما أهل البلاد يموتون جوعا فى الطرقات . ولكنهم فشلوا فى كسب أحد من أهل البلاد اللهم الا من الوثنيين أو الأطفال الذين كانوا يأخذونهم أيام القحط والمجاعات فيربونهم وينشئونهم على المسيحية واذا كان المبشرون لم ينجحوا بتنصير المسلمين فانهم قد نجحوا بلا شك فى اقصائهم عن دينهم بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وابعاد عن البلاد الاسلامية حتى جعلوا كثيرا منهم يجهلون دينهم ، وحتى صار فريق منهم يجهل أنه مسلم، وهو يمارس الأحكام الاسلامية أو بعضها .. وقد غادر المستعمرون البلاد بأجسامهم بعد أن طبعوها بأفكارهم ومبادئهم ولغتهم أيضا .. ولما كانت الاقوام الافريقية وهى عربية مسلمة قد اضاعت لغتها مع مرور الزمن وعتو المستعمر ، فقد اضطر أكثرها بعد الاستقلال أن تتخذ لغة المستعمر لغة لها [الانكليزية والفرنسية] ومن مهازل الدهر أن يضيع أكثر الأفارقة لغتهم العربية ، وأفريقيا معقل هذه اللغة بما فيها من جامعات الأزهر والقرويين والزيتونيه .. » .

ان البعثات التبشيرية الغنية بالوسائل المادية والاعلامية ، والتى تؤيدها حكوماتها القوية ومنظماتها المعطاءة ، تبذل نشاطها محموما فى التبشير بالنصرانية وفى اعاقة سير الاسلام بسبب الهجمات

الضاربة التي تشنها عليه . وأن ٣٥ ٪ من البعثات البروتستانتيه في العالم تعمل بنشاط في آفريقيا ، كما آن الكاثوليك ليسوا أقل نشاطا وتركيزا على هذه القارة من زملائهم ، وبالامكان اعطـاء القارىء فكرة عن سرعة وشـدة النشاط التبشـيري في أفريقيا الوسطى على سبيل المثال فقد كان في الكونغو قبل الاستقلال بعثات تبشيرية أجنبية يبلغ عددها ١٥ الف بعثة ، وجميعها تعمل بنشاط محموم وقد تمكنت من جني محصول غني يبلغ تعداده خمسة ملايين شخص . ومقابل هذا العدد الضخم لا يوجد في الكونغو جمعيـة واحدة للدعوة الى الاسلام ونشر تعاليمه ، رغم وجود ما لا يقل عن ٨٥٠ ألف مسلم في الكونغو . أما في جنوب أفريقيا فان الكنيسـة الاصلاحية الهولندية وحـدها تنفق هناك ١ الى ٢ مليـون جنيـه استرليني سـنويا من أجل التبشـير . أما تبرعات الموسرين من المسلمين لأجل نشر الدعوة الاسلامية هناك فانها تسـاوي صـفرا ولا تزال اغلبية السكان من الوثنيين ولكن هناك الكثير من المسلمين واقلية ضئيلة من النصارى . ويزداد عدد هؤلاء الأخيرين باستمرار بسبب الجهود التي لا تكل والتي تبذلهـا الاعـداد الـكبيرة مـن البعثات التبشرية البيضاء ، وهي تكافح تحت الحماية الأمريكية والبريطانية ، والمساعدات المالية التي تتلقاها من مختلف الدول الأوربية وقد استعمل التبشير ، ويستعمل ، مصادره الفنيـة هذه ، وأساليبه البارعة ، وعدوه وخيانته ، لاضطهاد الاسلام في افريقيا ومنع تقدمه وخلال عهد استعمارهم للبلدان الأفريقية كانت المعرفة والتعليم محصورتين في البعثات التبشيرية ، وهذه بدورها كانت تقدم كل العون الممكن والتشجيع والرعاية لأولئك الذين يقبلون الدخول في النصرانية ، وهذا يفسر لنا الوضع الراهن في

معظم الدول الأفريقية حيث نجد أن غالبية السكان هم من المسلمين ، ولكن قيادتهم تقع فى أيدى الأقليات الصغيرة النصرانية.

ولتأخذ دولة سيراليون كمثال على ذلك فنجد أن نسبة ٨٠ ٪ من السكان هم من المسلمين ولكن الأقلية النصرانية التى تبلغ نسبتها ٥ ٪ فحسب تسيطر على ١٧ مقعداً وزاريا من أصل ٢٢ كما نجد أن كل من رئيس الدولة ورئيس الوزراء ، ووزراء الخارجية والمالية والاعلام هى جميعا من النصارى ويزعمون أن المسلمين متاخرون وغير متعلمين أو مثقفين ، ولذلك فانهم غير قادرين على تسيير بلادهم وحكمها ، وهذه هى نسب الإكثريات الاسلامية فى دولة تحكمها أقليات غير اسلامية : السنغال ٩٠ ٪ سيراليون ٨٥٪ افريقيا الوسطى ٧٠ ٪ الحبشة ٤٥ ٪ تشاد ٣٣ ٪ فولتا العليا ٣٣ ٪ واذا ما أستمر الوضع الراهن المؤلم وغير العادل فان التبشير سوف يسيطر على غرب أفريقيا ذات الأغلبية المسلمة الكبيرة التى تستطيع بقليل من أعمال الفكر والجد والنشاط والاهتمام السياسى ، أن تتحول الى دولة من أقوى الدول الاسلامية فى أفريقيا . ومنذ قرن من الزمن شق [دافيد ليفنغستون] (أكبر المبشرين فى أفريقيا) طريقا هناك حدد غايته بانه (طريق للتجارة والاستعمار والتبشير) . ولتحاول الكنيسة أن تقلب قارة أفريقيا الى قارة نصرانية باية وسيلة ممكنة . وأن الانقلاب العسكرى الدامى الذى تم فى نيجيريا ـ عام ١٩٦٦ يكشف لنا سباق خطط الكنيسة لسحق الاسلام والمسلمين .

وفى رسالة للشيخ [نورى] من [دكار] عاصمة السنغال أن ٩٥ ٪ من سكان السنغال مسلمون و ٣ ٪ مسيحيون ، والباقى

وثنيون يتنازعهم الاسلام والمسيحية ، مع ملاحظة أن حصة الاسلام اكبر لوجود دعاة أكفاء خبيرين بامور الدعوة . لأن طبيعة الزنوج وعاداتهم اقرب بكثير الى الاسلام البسيط السمح منه الى المسيحية المعقدة الغامضة .. والسنغال قديم عهد بالاسلام ، منذ انطلقت منه منذ ألف سنة حركة المرابطين .. وحتى الوقت الحاضر . وفيه ظهر فى القرن الماضى الحاج عمر الفوتى الذى قام بنشر الاسلام وعمل على توحيد شعوب افريقيا على سياسة الاسلام .. وقد كاد ينجح فى ذلك لولا تدخل الاستعمار الغربى البغيض ، وخيانة بعض الأمراء والزعماء .. وهنالك الداعية شيخ الاسلام الحاج ابراهيم ايناس الذى تنقل فى عدد من الدول الأفريقية ، واخذ يعمل على ادخال السلاطين والأمراء والوزراء والزنوج فى دين الاسلام فى نيجيريا وغانا وداهومى ومالى وسيراليون وغامبيا .. (ثم ما لبث الاستعمار أن جاء ، وقام بعمليات قاسية لمحق الاسلام) واخذ يعمل بواسطة مدارسه اللادينية والتبشيرية على بث سموم الميوعة والالحاد والانحلال فى نفوس الشباب ، وبذل مجهودات جبارة لتربيتهم وتدريبهم على السخرية بمقدسات الأجداد والتقاليد الاسلامية ليخلف جيلا يؤمن باوربا وحدها ويقلدها تقليداً اعمى ونتج عن ذلك أن اصبح غالبية الشبان المتخرجين من المعاهد والجامعات الغربية ـ وهم الاطارات المدبرة والمسيرة لشؤون البلاد اما ملحدين او المحلاليين يؤمنون بضرورة فصل الدين عن السياسة .. بينما وجدت المسيحية المجال امامها واسعا فسيحا ، واخذت تلقى الترحيب والتحيز والتاييد لدى جميع الأوساط الرسمية .. انها تقوم بنشاط هائل خطير ترتعد منه فرائص كل زنجى يعرف تاريخ بلاده ، وتتدخل فى كل الامور

وخاصـة فى المسـائل المتعلقـة بمسـتقبل الأمة كالتربية والتعليم والقوانين الاجتماعية .

وفى غينيا قامت الحكومة ، ذات الأغلبية المسلمة ، بمنح قطعة أرض تبلغ مساحتها ٨٨ فدانا لاسـقفية [كوناكرى] كى تؤسس عليها معهدا كنسـيا صـغيرا . هـكذا نشرت صـحيفة بريطانيـا الكاثوليكية الأسبوعية : الكون The Universe خبر المنحة فى عددها الصادر فى ٩ ـ ٨ ـ ١٩٦٣ تحت عنوان كبير « حـكومة مسلمة تمنح قطعة أرض لمعهد كنسى » ثم علقت عليه قائلة : [ان عدد الكاثوليك فى غينيا يبلغ ٣٢٫٠٠٠ أى أقل من ١ ٪ من مجموع السكان . فى حين يبلغ عـدد المسلمين ٦١ ٪ . هـذا وقـد أعلن رئيس الأساقفة(تشيدمبو) أن البناء الجديد ـ على الأرض الممنوحة ـ سوف يطلق عليـه (معهـد يوحنا الثـالث والعشرون) حيث أن الكنيسة الغينية اذا أنشئت فى عهد هذا البابا العظيم الذى كان ـ يحب أفريقيا حبا جما .. ترى أيدور فى خيال أحد أن تقوم حكومة مسيحية فى لندن أو واشنطن أو باريس ، يمنح قطعة من الأرض الى جماعة أو معهد اسلامى لبنـاء مسـجد عليها ؟ الا أن منطق العبيد لا يمكن بحال أن يلتقى بمنطق السادة حتى فى الكرم والعطاء .

أما فى نيجيريا فان المأساة أدهى وأمر .. ففى مقابلة اجرتها مجلة [حضارة الاسلام] فى دمشق مع وفد اسلامى نيجيرى زار بعض العواصم العربية ، جرى استعراض للاوضاع الصعبة التى يعانيها المسلمون والنشاط الاسـلامى هناك ، جاء فيـه أن عـدد المدارس التى تدرس الدين الاسلامى فى نيجيريا يبلغ ١٥٠ ، منها

٨. تفرعت من مركز [تالم العربى] [فى أغيفى] فى القسم الجنوبى . ويتولى رئاسة هذا المركز الحاج آدم عبد الله الآلوى الذى اندفع الى تأسيسه بانشاء المدارس الاسلامية نتيجة الشعور بالخطر الكبير الذى يتهدد الاسلام فى نيجيريا ، على أيدى الارساليات التبشيرية الاستعمارية التى تملك عدداً ضخما من المدارس والمؤسسات ، الى جانب محطة اذاعة خاصة تذيع باللغة العربية ، وتخاطب المسلمين فى نيجيريا تدعوهم الى ترك الاسلام . وقد خصصت جميع برامجها للدس على الاسلام ، والطعن بالنبى العربى العظيم صلى الله عليه وسلم ، وتشويه حقائق الاسلام ، وبيان مزايا عقائد المبشرين الأوربيين وحضارتهم .. وتعتبر نسبة المدارس الاسلامية العربية قليلة ولا تفى بالحاجة أمام المدارس التى تبشر بعقائد أوربا الاستعمارية .. ولقد ذكر السيد آدم عبد الله فى كتابه [موجز تاريخ نيجيريا] ان الحكومة الانكليزية تعمل جنبا الى جنب مع الهيئات التبشيرية بحيث تمهد أحداهما الأسباب الأخرى ، كاليدين تغسل احداهما الأخرى . واستطاع التبشير أن يصيد بشبكاته كثيراً من القبائل الوثنية فى المقاطعات الجنوبية التى لم يعتنق أهلها الاسلام كما استطاع ـ بقوة دعايته الواسعة العريضة ـ ان يقتنص الشباب الجهلاء من بعض أبناء المسلمين الجنوبيين . ولكن صلابة ايمان الشماليين وتمسكهم الشديد بتقاليدهم وعقائدهم أوصد على التبشير أبواب الدخول الى أراضيهم والتمكن من أهلها ، على الرغم من الدعايات المبذولة عن طريق المدارس والمستشفيات والمكتبات ، وجميع المغريات التى تغص بها المقاطعات الشمالية . وقد اتخذ التبشير المدارس مصائد لاقتناص أبناء المسلمين ، وقلب حقائق الاسلام الى أباطيل ، وتتبع

المطاعن فى تقاليد الاسلام والمسلمين بالحق والباطن . وبالاسف الشديد نرى أن تجمد مسلمى نيجيريا على العادات الجاهلية يساعد التبشير فى الاتساع والانتشار .

وجاء فى رسالة بعث بها [نشار احمد أعظمى] ، من [كانو] فى نيجيريا الشمالية أن معظم الاساتذة الكبار هنا امريكانيون وبريطانيون وتعلمون أن التاريخ مادة تضم أبحاثا يمكن أن تختلف الآراء ووجهات النظر فى طريقة عرضها . ويتعمد هؤلاء عرض بعض نقاط التاريخ الاسلامى بشكل مغاير للحقيقة مثل : حياة وتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، انتشار الاسلام ، الجهاد ، الصليبيون ، أثر الشعوب الاسلامية فى الحضارة الانسانية . بيد أن عرضى لوجهة النظر الأصلية فى هذه المواضع لم يعجب مدير المدرسة البريطانى .. وخيل للرجل انى مبشر .. ومن الجدير بالذكر هنا أن القسم الأكبر من المقرر يتعلق بتاريخ بريطانيا وأوربا .قد أخذ المدير يعاملنى كمبشر ويرسل للوزارة تقارير كاذبة ضدى .. وقد استطاع قبل سفره الى انكلترا أن ينقلنى فعلا الى مدرسة اخرى وإذ كان كبير المستشارين لشئون التربية [وهو بريطانى أيضا] صديقا حميما له ، فقد أخذ المدير يكتب له من انكلترا ، يذكره بى حتى استطاع أن يصل الى غايته تقريبا . اذ استلمت مؤخرا اخطار بانهاء مدة عقدى ، وأن على أن أغادر البلاد » وأعتقد أن من واجبى قبل مغادرة البلاد أن أؤكد للمسؤولين خطورة تدريس التاريخ الاسلامى لتلاميذ لم ينضجوا بعد . على أيدى المبشرين بطريقة حاقدة مضللة ، تجعل أبناء نيجيريا الشمالية يفقدون كل احترام لماضيهم وأبطالهم وأجدادهم ، ويخجلون من كل ما فعلوه وحاربوا من أجله ، وضحوا بارواحهم فى سبيله . أن السياسة

التى تتبعها الحكومة حاليـا تعنى آن لا يســمح آلا لاولئك الذين يلبسون ثياب أساتذة المدارس الرسمية من المبشرين النصـارى ان يعرضوا وجهات النظر الحاقدة المضللة فى بعض مسائل التاريخ الاسلامى بنفس الطريقة التى استطاع بها المستشرقون الأوربيون ان يجعلوا هذه المواضيع موضع آخذ ورد ..

وذكر أحد زائرين نيجيريا آن الاجانب هنـاك اسـتطاعوا ان يقنعوا المسـؤولين فى قبائل [الهوسا] الافريقيـة المنتشرة ما بين الصـحراء شـمالا ، والـكميرون ، وتوجـو ، وداهومى ونيجيريا جنوبا ، وعددهم يزيد على عشرين مليون وآكثريتهم الساحقة من المسلمين بأن يكتبوا لغة [الهوسـا] التى يتـكلمونها بالحـروف الافرنجية [وهى الآن تكتب فعلا بهذه الحروف] ، وذلك فى محاولة منهم لابعاد هؤلاء الافارقة ، بقدر الامكان ، عن العرب والعربيـة وقرآنها المبين ، بعد آن فشلوا فى محاولة الكتابة اللغة السواحلية المنتشرة بين نحو خمسين مليون فى شرقى آفريقيا وآواسطها بحروف افرنجية بدلا من الحروف العربية ، وها هم آولاء يحاولون الآن ان يقنعوا الصوماليين المسلمين بأن يكتبوا آفرنجية ، وما دامت التجربة قد نجحت فى تركيا القريبـة من بلاد الضـاد ، فاحـرى بها آن تنجح فى قلب آفريقيا بعد آن اختار العرب بانفسهم ان يقيموا جدرانا فاصلة بينهم وبين اخوآتهم المعزولين هناك .

وقد وقف الزعيم المسلم آحمـد وبللو ، رئيس وزراء الاقليم الشمالى فى نيجيريا ـ سابقا ـ كالعملاق يدعو الاسلام فى نيجيريا ، ويدفع عنه وسط بحر من النشاط العدائى الذى تولى المبشرون كبره ، ونفخت فيه نار السموم كل من الصهيونية والاستعمار ..

وقف كالعملاق يدعو وينافح ، ويدخل الرعب الى قلوب المبشرين وشركائهم .. وقاد بنفسه حملة الدعوة للاسلام بين الوثنيين فى اقليمه عام ١٩٦٣ فربح لصفوف المسلمين فى آخر العام ستين ألفا منهم . أما فى نهاية عام ١٩٦٤ فكان عدد الذين دخلوا الاسلام على يده [٣٦٦٫٨٩٨] وثنيا ومسيحيا . وكان هذا الرقم أكثر بكثير مما ربحته الارساليات التبشيرية ، مجتمعة ، فى شمال نيجيريا من الوثنيين خلال ثمانين عاما .

وخطا احمد وبللو خطوات أخرى فى سبيل تعزيز الوجود والثقافة الأسلامية واللغة العربية فى المنطقة فوثق اتصالاته بالعالم العربى حكومات وشعوبا وأفتتح فى أقليمه مدارس خاصة لتخريج مدرسى اللغة العربية كى يأخذوا على عاتقهم مهمة تعليم أبناء المسلمين فى نيجيريا لغة القرآن الكريم وأرتقى منبر المؤتمرات الاسلامية ليعلن بصراحة المؤمن عن خطر المبشرين ومدى تغلغلهم ونفوذهم وقوتهم ، وطالب زعماء العرب والمسلمين أن يسعوا لدره هذا الخطر بالعمل الهادف والجهد الدائب ، ولم يسمح لاسرائيلى واحد أن تطأ أقدامه أرض نيجيريا الشمالية ، بينما الاسرائيليون يتغلغلون بالألوف فى سائر مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية فى الأقاليم النيجيرية الباقية وخصوصا الاقليم الشرقى الذى [عمده] المبشرون وأقاموا فى عاصمته عام ١٩٦٥ مؤتمرا عالميا لدراسة مشاكلهم فى القارة السوداء [ربما خططوا فيه للتخليص من أحمد وبللو ونشاطه الذى لا يفتر] كما أقدم الزعيم النيجيرى المسلم على خطوة بالغة الأهمية فى مجال الثقافة ، حيث بدأ كتابة لغة [الهوسا] بالاحرف العربية ، قبل أن يأتى خبراء التربية الانكليز ويحولوها الى أحرف لاتينية ليقطعوا كل صلة لسكان

غرب أفريقيا بالعرب ولغة العرب . كما سعى لاستقدام أكبر عدد ممكن من الخبراء من البلاد الاسلامية [العربية وباكستان] .. وأخيرا وقبيل مقتله بأسابيع ، بدأت نقابة المدرسين فى نيجيريا الشمالية تطلب من الحكومة العمل على وضع يدها على كل المدارس الخاصة فى الاقليم . وكان أحمد وبللو يفكر منذ زمن بهذه الخطوة، وينتظر وجود المال والمدرسين للقيام بها ، وهى خطوة بالغة الخطورة اذا ما علمنا أن ثمة ٢٧٤٣ مدرسة ابتدائية فى نيجيريا الشمالية ثلاثة أرباعها للمبشرين وفيها ٧٢ مدرسة ثانوية ثلاثة أرباعها لهم أيضا :

من أجل هذا كله فتح المبشرون والمستعمرون والصهاينة عيونهم على الخطر الذى يمكن أن يشكله هذا الاقليم وزعيمه ضد مطامعهم فى أفريقيا ، والذى يطلع على أحداث ما كتبه المبشرون ، يرى بوضوح مدى الأهمية التى يعلقونها على الاقليم المذكور ، والقلق الذى يساورهم من بقائه مسلما ومن امكانية انتشار الاسلام على طريقه الى سائر انحاء أفريقيا السوداء . ومن ثم بدأت المؤامرات مع استقلال نيجيريا فى تشرين الأول عام ١٩٦٠ ، حيث راحة الدعاية المركزية المدروسة على صعيد عالمى تثير اشاعة خوف أقاليم نيجيريا الثلاث من سيطرة الاقليم الرابع [الشمالى] المسلم على الاتحاد كله ، رغم أن الواقع يشير الى عكس ذلك تماما ، فالاقليم الشرقى - مرتع المبشرين ومأوى تلامذتهم النجباء - هو الذى يستأثر بحصة الأسد من الادارات الحكومية فى سائر الأقاليم الأخرى ، وعلى الأخص فى الأقليم الشمالى المسلم حيث يسيطر أبناء الاقليم الشرقى من تلاميذ المبشرين سيطرة تامة على أجهزة الدولة جميعها فالاقليم الشمالى هو أقل الاقاليم الأربعة تطورا وثقافة ومالا وخبرة

نتيجة لسياسة الاستعمار المدروسة التى طبقها على المسلمين من ابنائه ، ولذا يفتقد هذا الاقليم القوى البشرية الفنية المدربة .. فياتى تلاميذ المبشرين لملء الفراغ ، خصوصا وانهم الوحيدون الذين دربهم المستعمر وسلمهم قبل أن يترك نيجيريا ، وكل مراكز الدولة الحساسة .

وهكذا أصبح الاقليم الشرقى السلاح الذى يضرب به المبشرون بعد أن انسحبت جيوش الاستعمار أثر الاستقلال مخلفة جيشا اتحاديا يبلغ عدد النصارى فيه ٧١ ٪ ، وما تبقى فلابناء الديانات الاخرى ، بما فيها الوثنية والاسلام ، وفى الأشهر القليلة التى سبقت المؤامرة ركزت الحملات المسعورة هجومها على الرئيس احمد وبللو ، واسهمت فى هذه الحملات بصورة علنية أو مستورة، اجهزة الاعلام الغربية فى أوربا وأمريكا ، وآنى لنيجيريا الشمالية الفقيرة التى لم يكن عندها صحيفة يوميه واحدة معتبرة ، ان تكافح الدعايات المسمومة ، ومن ثم راحت الاتهامات تنهال على الزعيم المسلم وحزبه بانهم زوروا انتخابات الحادى عشر من تشرين الأول عام ١٩٦٥ فى الاقليم الغربى تلك التى فاز فيها الحزب الوطنى الديمقراطى الذى يتزعمه [أحمد وبللو] و [ابو بكر تفاوا باليوه] باغلبية وصلت الى ٧١ مقعدا من مجموع ٩٤ ، بينما لم ينل الحزب الاتحادى التقدمى الذى يتزعمه [آزيكوى] رئيس الجمهورية أكثر من ١٧ مقعدا ، وكانت مطالب الحزب الخاسر هى أعلان حالة الطوارىء فى الاقليم الغربى ، واجراء انتخابات جديدة ، بعد تشكيل حكومة محايدة للاقاليم .

رفض [ابو بكر تفاوا باليوه] رئيس وزراء الاتحاد هذه المطالب التى يبدو أن رئيس الجمهورية كان يقف مؤيدا لها ،

وسرعان ما مرض أثناء احتدام الازمة وغادر البلاد الى لندن وفى صباح الرابع عشر من كانون الثانى ١٩٦٦ ، وبعد يومين من عودة [الحاج احمد وبللو] من الديار المقدسة ، بعد أداء العمرة هناك ، هاجمه فى بيته نفر من الضباط من تلاميذ المبشرين أبناء الاقليم الشرقى وقتلوه هو وزوجته وأولاده ، وأحرقوا منزله امعانا فى الانتقام . وكان ذلك فى [كادونا] عاصمة الاقليم الشمالى المسلم ثم منع هولاء القتلة ـ بامر عسكرى ـ المسلمين من دخول المساجد ، وأخذت الأجهزة الاعلامية الغربية تذر الرماد فى العيون وتشيع أن الخلافات السياسية المحلية هى سبب الحادث .

وما لبث المتآمرون أن قتلوا كلا من [أبى بكر تفاوا باليوه] رئيس الوزراء فى لاغوس ووزير ماليته ، بعد خطفهما ، والحقو بهما المستر [اكنتولا] رئيس الاقليم الغربى ولقد قاد هذه المؤامرة الانقلابية [شوكور مانزيجو] من قبيلة [آيبنو] النصرانية للتخلص من الزعماء المسلمين الشماليين ، وأصدر أوامره بالغاء توحيد نيجيريا ، والغاء الحكم الفدرالى وحل الاحزاب ، وفرض سيطرة [ايبو] على نيجيريا . وباسلوب مسرحى انطلق صوت الجنرال [ايرونسى] القائد العام للجيش معلنا استيلاءه على الحكم ومتظاهرا بانه سيعيد الأمور الى نصابها ، وسينتقم من الثوار .. ولكن الثوار هربوا لان مهمتهم قد انتهت بتصفية أعدائهم ، بينما راح [ايرونسى] يدعم سلطة [الايبو] النصرانية التى ينتمى اليها ، ولم يقم رئيس الجمهورية القابع فى لندن باى استنكار للاغتيالات التى اطاحت برفاقه فى الحكم وصرح النائب العمالى البريطانى اليهودى [برنارد فلود] الذى كان يزور نيجيريا آنذاك ، انه يعتقد أن الهدف هو احمد وبللو ، وما لبثت

أن اندلعت الاضطرابات وعمت الفوضى حتى قدر عدد القتلى بثلاثين ألف شخص ما بين مسلم ونصرانى .

أما حركة [أوجوكو] الانفصالية ، وسعيه لتكوين دولة بيافرا [حيث ٦٧ ٪ من انتاج نيجيريا للنفط الخام وحيث تستثمر شركة مثل بريتش بتروليوم ، ثلاثمائة مليون جنيه استرلينى سنويا] فهى مثل آخر من عديد من الأمثلة على المحاولات السياسية العسكرية التى تستهدف اضعاف قوى المسلمين فى أنحاء أفريقيا وتمزيق وحدتهم ، وتقطيع أوصال بلادهم ، تلك المحاولات التى كانت تنبعث وهى محاطة بضمانات مخططة مدروسة من قبل كافة القوى المضادة للاسلام فى أفريقيا : استعمارية وصليبية وصهيونية

ويحدثنا شاهد عيان للاحداث الدامية والمتناقضات التى عاشتها وتعيشها نيجيريا منذ حركة [آيرونسى] ومقتل الزعيمين الاسلاميين أحمد وبللو وأبى بكر تفاوا باليوه وحتى الوقت الحاضر فيذكر كيف أن نيجيريا ما آن بدأت فى استقبال عهد من الاستقرار أثر الثورة الاسلامية التى أطاحت بايرونسى وقتلت احمد وبللو [فى ٢٩ تموز ١٩٦٦] والتى قادها زعماء اسلاميون أمثال محمد كرما ومحمد مرتضى وحسن عثمان والكولونيل محمد شوا وغيرهم وأتت بالقائد المسيحى يعقوب كوون الى الحكم كاجراء مرحلى لاستعادة وحدة البلاد وقطع الطريق على أية محاولة انفصالية .. ما أن تم ذلك حتى راحت قبائل [الايبو] فى الاقليم الشرقى بزعامة [لوجوكر] الذى عينه ايرونسى على الاقليم الشرقى ، تستغل فترة المفاوضات التى دامت عشرة آشهر ، وتستورد الأسلحة

وتكدسها فى المستودعات وتدفع أثمانها من خزانة الدولة الاتحادية، الأمر الذى نبه حكومة الاتحاد الى أن الاقليم الشرقى لم يرسل عائدات النفط وضرائب الاقليم . فما كان من أوجوكو . بعد أن افتضح أمره . الا اعلان الانفصال وتسميه اقليمه [دولة بيافرا] وفى الحال أرسل أوجوكو جميع الأموال الموجودة فى بنوك الاقليم الى يهود سويسرا وباعهم الجنيه النيجيرى بعشرة شلنات انكليزية [أى بنصف الثمن] وعمد اليهود الخبثاء الى اعادة هذه الأموال الى الحكومة الاتحادية التى سرعان ما أعلنت عن تبديل عملتها وحددت عشرون يوما لأجراء هذا التبديل فاغتنم اليهود الفرصة وأرسلوا عملاءهم السويسريين كسواح ورجال أعمال . ولكن الحيلة لم تنطل على رجال الجمارك فى الحكومة الاتحادية ففتشوهم واكتشفوا لديهم آلاف الجنيهات المهربة مع الرجال والنساء ملصقة على أجسامهم بالبلاستك ، فأودعوا جميعهم السجون .

وبدأت الأسلحة تتدفق على [أوجوكو] بالمجان ، لقتل المسلمين ، تتدفق من هولندا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا واسرائيل ، وتبرعت البرتغال بتسعة ملايين جنيه استرلينى ، ودفع بنك روتشيلد الصهيونى لاوجوكو مبلغا قدره ستة ملايين استرلينى خلال أسبوعين ، وأقيم فى فرنسا أسبوع لدعم العمل فى بيافرا ، واشترك البابا والفاتيكان بتهريب الأسلحة الى بيافرا على بواخر حكومية مما يؤكد أن المناداة بفصل الدين عن السياسة أريد منها ابعاد التشريع الاسلامى ، وتدمير القيم الأخلاقية فى البلاد الاسلامية فقط أما فى بلاد الغرب فان الدين والسياسة شىء واحد . ولا أدل على ذلك من الأموال المتدفقة من الحكومات الغربية على الارساليات

التبشيرية لتعليم أبناء المسلمين فى مدارسها خدعة فصل الدين عن السياسة . فكان أول ما قاموا به عندما تسلموا الحكم أن فصلوا الدين عن الحياة ، وكرسوا جهودهم لمحاربة المخلصين لأمتهم ودينهم .

وهكذا قامت مؤسسات التبشير بمهمتها خير قيام ، فكانت الساعد الأيمن لاوجوكو فى التجسس وتقديم المساعدات والمعلومات والأسلحة ، وبث الفتنة بين الشعب الواحد ، وتاليب الميسحيين ضد المسلمين فاستحقوا شكر اوجوكو على ما قدموا من خدمات وما أن وصلت الانباء الى الشماليين بما حشد أوجوكو من قوات بمساعدة الاسرائيليين والمرتزقة لاحتلال لاغوس ، حتى هب أبناء الشمال هبة رجل واحد لحمل السلاح والتطوع لاطعام المتطوعين ، واستعدوا للقتال تحت شعار [نيجيريا الواحدة] والموت لمديرى الانفصال والصهيونية المجرمة ، وعندما رفضت أوربا الغربية بيع السلاح لحكومة الاتحاد اضطرت هذه للالتجاء الى الاتحاد السوفياتى وعقدت معه صفقة ميج ١٧ حتى تم دحر قوات أوجوكو بعد فترة طويلة من القتال أنتهت بمطلع عام ١٩٧٠ وبعد قتل وأسر عدد كبير من الطرفين وكان من بين الاسرى البيافريين ضابطان اسرائيليان تم اعدامهما بعد محاكمة عسكرية بملابس دولتهما كما جرى ترحيل ثلاثة وثلاثين مبشرا من أجناس مختلفة بعد ثبوت تعاونهم مع أوجوكو .

كان دور الأبطال المسلمين بارزا فى تحقيق النصر على اوجوكو وسقوط بيافرا فظل بطل الثورة النائب محمد كرما يقاتل ببسالة فى الجبهة الشرقية متبرما من مجون رفاقه الذين كانوا

يحتســون الخمرة مســايرة لزملائهم المسيحيين ، فــكان يقول : [اذا انغمس المسلم فى الشهوات فانه ينسلخ عن آدميته ، ويصبح خطراً على وطنه ودينه ، وقد استشهد ـ رحمه الله ـ فى كمين بعد أن سجل عدة انتصــارات على جيش الانفصــال عند اقتحام المدينة المحاطة بالانهر . أما الـكولونيل محمــد مرتضى فقــد ظل يتقدم بقواته حتى سقطت تحت هجماته حوالى ثلث مساحة بيافرا وبقى مرتضى ورفيقه شوا يحاربان فى الاقليم الشرقى ما يزيد عن السنتين . وعندما لاحت تباشير النصر استدعى الكولونيل مرتضى لينال ترقية عسكرية ويبقى فى القيادة ب [لاغوس] كما رقى زميله الكولونيل شوا وأرسل الى لندن رئيسا لبعثة ، عسكرية . وبهذا الاجــراء الذى اتخذ غــدراً بحق هذين البطلين ، تم ابعادهما عن المسرح ، بعد أن سجلا انتصارات كبيرة حتى تمكنا من تحقيق النصر الأكيد ، الأمر الذى جعل القادة فى لاغوس يشكون فى أن هذين الضابطين يملكان قوة حربية هائلة وجنوداً مدربين على القتال .. فتوجسوا منهما خيفة ، ومنعوا عنهمــا الذخائر رغم أنهمــا كانا يخوضان القتال فى أقصى جبهة كان مصير بيافرا يتوقف عليها . وفى الأشهر الأخيرة ، وبعد نقل القائدين الباسلين ، سقطت بيافرا [كانون الثانى سنة ١٩٧٠ وفر أوجوكو من البلاد بعد أن أودت حركته بما يزيد عن مليون ضحية وجنى ثمار النصر من لم يطلق رصاصة واحدة ، ولم يذهب الى جبهة القتال] .

وقد أراد الاتحاد السوفياتى أن يستغل بيعة صفقة الأسلحة لنيجيريا فارسل الاف الطرود المليئة بالكتب العربية التى تم توزيعها بواسطة جمعية الصداقة الروسية ـ النيجيرية ويضمنها كتاب

بعنوان [الاسلام : نشوؤه ومستقبله] الذى ألفه الملحق الروسى [ى . كليمونتش] والذى طبع فى موسكو عام ١٩٦٨ وفيه شتم وطعن وأنكار لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد لاقى استنكارا واسعا من رجال العلم والثقافة فى نيجيريا لما تضمنه من أفكار هدامة .. وأحتج الطلاب على توزيعه وأنذروا الحكومة بالاضراب ، فما كان من رئيس نيجيريا الا أن أعلن - ذرا للرماد فى العيون - استنكارا للكتاب .

وهنا قد يتساءل سائل : ما دخل الاتحاد السوفياتى ونشاطه ببحث ينصب على ما يعانيه مسلمو أفريقيا من ضغوط استعمارية غربية وصليبية وصهيونية ؟ والجواب واضح ومضحك فى آن واحد أن الكتاب المذكور جرى توزيعه بواسطة جمعية الصداقة الروسية - النيجيرية ، ورئيس هذه الجمعية السيد / ابراهيم ، مسيحى من الشمال يعمل مع الارساليات التبشيرية .

وتتحدث مجلة بونج باكستان ديللى [باكستان الفتاة الاسبوعية] التى تصدر فى دكا [عدد الأحد ٢٤ تشرين الأول ١٩٦٥] عن العزلة التى يعانيها المسلمون الأفارقة وتلقى مزيد من الأضواء على الأوضاع فى ليبريا ، كنموذج لما يحدث فى غرب أفريقيا ، بل فى القارة جمعاء فتقول : أن الحاجة ماسة لايقاظ المسلمين من نومهم فهذه المجتمعات المعزولة - فى أفريقيا - تكاد تغرق فى وسط المحيط المتسع لأعدائها - بل أننا رأينا أن الصهيونية والهندوسية قد أتحدا معا [ضد هذه المجتمعات] وتسرد المجلة قائلة : وليس هناك فى ليبريا دعوة منظمة للاسلام الحق وانى كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق

مبشروها ليعملوا بجد ونشاط فى أنحاء كثيرة من الدولة ـ ونجد أن المسلمين ، بسبب نقص التوجيه الاسلامى ، ليس لديهم الا فكرة ضحلة عن الاسلام ولذلك وبسبب عدم تنظيم البعثات التبشيرية يسهل على المبشرين تضليلهم ، حتى اننا بسهولة يمكننا أن نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات فى كافة أنحاء غرب أفريقيا ونلاحظ أن رئيس جمهورية ليبيريا وكافة أعضاء الوزارة هناك هم من النصارى . وقد كان رئيس الجمهورية مبشراً محليا فى عدد من الكنائس ، قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية ، رغم أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٤٥ ٪ من مجموع السكان [من الجدير بالذكر أن الرئيس المذكور يرتدى ثياب الرهبان طوال يومه ، ويمارس أعماله وينتقل من دولة لأخرى وهو بهذه الثياب ، حتى أنه فى اجتماع ملوك ورساء الدول الأفريقية الذى عقد عام ١٩٦٣ فى أديس أبابا كان هو الوحيد من بين الرؤساء المتعصبين ـ من أبناء هيلاسيلاسى ونكروما ـ يلبس الزى الدينى .

أما فى الكونغو فقد بلغ النشاط التبشيرى هناك ذروته تحت حماية وتشجيع بلجيكا ، ومن ورائها الأمبريالية الأمريكية وعملائها فى المنطقة . وتكاد ترى الرهبان والقسس الكاثوليك فى كل مكان هناك .. وكلهم يعملون فى الكونغو كمتعاقدين مع الحكومة الكونغولية ويتقاضون منها رواتب شهرية . وتأتيهم من مصادر خفية أرزاق لا حصر لها يوزعونها على الأهالى . وهم يشرفون مباشرة على التعليم بجميع مراحله ، ويسيطرون بنفوذهم الدينى على كل مرافق الدولة . وقد ثارت ـ قبيل استقلال الكونغو مناقشات حادة فى الصحف والاذاعة ، امتدت حتى الوقت الحاضر حول اللغة الرسمية للبلاد ، واقترح كثيرون أن تكون السواحلية لأنها الأوسع

والأغنى . فثارت ثائرة البلجيكيين والمبشرين ومن حام حولهم بحجة أنها لغة المستعبدين العرب الذين أغرقوا الكونغو قرونا طويلة فى البؤس والعبودية ، وبذلك نجحوا فى فرض الفرنسية لغة رسمية للبلاد .

وقد تنصر خلال المائة سنة الأخيرة عدد كبير من المسلمين على يد المبشرين ، وهناك الكثير من النصارى الذين كان آباؤهم أو أجدادهم مسلمين .. ولا تعترف الدولة بالاسلام ، وقد جمع المسلمون أنفسهم بعد الاستقلال وطالبوا بالشخصية المدنية ليكون لهم نوابهم ومدارسهم ومؤسساتهم ووعدهم رئيس الوزراء السابق [آدولا] بكل خير ، ولكنه أبعد عن الحكم قبل أن ينفذ شيئا ، وقد اتهمه البلجيكيون والمبشرون بانه مسلم واسمه [ابدوولا] [عبد الله] وأنه حذف الباء للتمويه وأن أباه سنغالى مسلم .

وعندما يولد للمسلم يجب عليه أن يعمده فى الكنيسة التى تمنحه أسما من عندها ، وإذا لم يفعل ذلك فلا يسجل ابنه فى السجلات المدنية ، ولا مكان له فى الدراسة ورغم ذلك كله فان عددا من السنغاليين والماليين والنيجيريين يقومون بدور كبير فى الدعوة الاسلامية فى الكونغو ، وادخال الناس فيه ، لكن الكنيسة تقاوم هؤلاء بشكل عنيف جدا ، وتدفع رجال الشرطة الى ذلك . فمن المناظر العادية هناك أن ترى الشرطة يسوقون العشرات منهم لوضعهم فى السجن بضعة أيام .أو طردهم من البلدة دون أى ذنب مطلقا .

ومن الجدير بالذكر أن السلطات الكونغولية لا تعترف رسميا الا بثلاثة أنواع من المؤسسات التعليمية ، أولاها : المؤسسة

الكاثوليكية المرتبطة مباشرة بالكنيسة الكاثوليكية وثانيتها : المؤسسة البروتستانتية المرتبطة مباشرة بالكنيسة البروتستانتية ، وثالثتها : المؤسسة الرسمية الملحقة بوزارة التربية وحسب احصاء اذاعة راديو [ليوبولدفيل] فانه يوجد فى الكونغو ثلاثة عشر ألفا وبضعة مئات مدرسة ابتدائية تبشيرية كاثوليكية ، وسبعة آلاف وبضعة مئات مدرسة ابتدائية تبشيرية بروتستانتيه ، مقابل بضع مئات مدرسة ابتدائية رسمية . كما أن هناك من المعاهد الاعدادية والثانوية للتبشيرية المئات ، يقابلها عشرات فحسب من الرسمية ، وكذلك جامعاتها ، حيث يديرها ويشرف عليها المبشرون ، والقسم الاكبر من معلميها منهم وعددها ثلاث .

ونمضى [illegible] التقارير الواردة من الكونغو حول أوضاع المسلمين فيها ازاء النشاط التبشيرى الواسع فنقرأ فى أحدها [التبشير بالنصرانية يتم بهمة ونشاط كبيرين ، وأن هناك ما يزيد على ١٥ الف بعثة تبشيرية نصرانية من كل أمريكا وبلجيكا وايطاليا وفرنسا والدول الأوربية الاخرى ، وهى جميعا تعمل بجد ونشاط لتنصير السكان وفق خطة منظمة ومدروسة ، بحيث يتم تنصير حوالى نصف مجموع السكان ، ولم تدخل هذه البعثات التبشيرية - بالطبع - أى جهد لمحاربة الدين الاسلامى فى هذه المنطقة ، الا انه رغم كل جهودها فانه لا يزال حتى الآن حوالى ٨٠٠٠٠ الف مسلم ، وهذه حقيقة مدهشة ومعجزة حية لهذا الدين الذى لا يزال صامدا لكل هجوم عليه من قبل أعدائه .. الا أن مسلمى الكونغو - مع الأسف - معزولون وغير آمنين ، وهم متاخرون ثقافيا ، ويتناقص تدينهم تدريجيا تحت التاثير الأجنبى . وليس هناك رابطة أجنبية لتهتم بشؤونهم ولذلك فان هناك حاجة ماسة

لايقاظ وتوحيد وتقوية هذه القطعة المنعزلة من الأمة الاسلامية .
ولقد قدم البلجيكيون أيام استعمارهم للكونغو كل عون رسمى لانتشار المذهب الكاثوليكى ، وحصل الكاثوليك على امتياز دائم للحكم فى التعليم فى الكونغو وبالاضافة الى ذلك فانهم يعملون مديرين لهيئة تبشيرية ضخمة تعمل فى الكونغو .. أن عدد المتنصرين أنه رغم كل جهودها فانه لا يزال حتى الآن حوالى ٨٠٠٠٠ يتضاعف بسرعة بسبب جهود الجمعيات التبشيرية من [البيض] التى لا تكل ولا تفتر عن العمل لاجل التبشير وهى تعمل تحت اشراف وبمساعدة الهيئات الأمريكية والبريطانية والاجزاء الاخرى من وأربا .

وفى رسالة من م . ف . ك من الكونغو أن الكثيرين من الأفارقة ، سمعو لأقوال البعض من القسس وصدقوهم بسهولة لأنهم بسطوا لهم بعض الأمور ، وتركوهم لعوائدهم القبلية دون أى تغيير ، ولم يدخلوهم فى سلم المدنية ، حتى أن للسود كتابا خاصا للصلاة يختلف عن كتاب البيض أما الأباء الكاثوليك والقسس فلديهم كل شىء كلهم شحم ولحم وتجارة ومصلحة .. كنت معتمداً - يقول كاتب الرسالة - فى تعليم القرآن على ترجمة Savazy عدو الاسلام ، بسبب لغتها القوية ، ولقد اصلحت فيها كثيراً ، وأريت الطلاب تحيز الغربيين ضد المسلمين حتى فى الترجمة .

ولن نغادر الكنغو قبل أن نقرأ معا هذا الحوار الظريف الذى دار بين قس وراهب كاثوليكيين وبين شاب كونغولى ، بعد الاستقلال ، والذى ساقه محمود القاسم فى مقالة القيم [سنوات فى الكونغو] :

الشاب : هذه حالة انتقالية سببها انتقالنا المفاجىء الى الاستقلال دون ان نـكون مهيئين لذلك ، لا فكريا ولا ثقافيـا ولا اجتماعيا ، كما تقع مسؤوليته على بليجكا التى كانت تظن انها ستبقى الى الأبد ، وسيبقى ابناء شـعبنا اجراء وخدم لديها .

القس : لا يا سيدى بل انكم قوم لاتستطيعون الحياة وحدكم ، فمداركم ناقصة بالفطرة ، وانا اشرح لكم ذلك وافهمكم ليل نهار وانتم لا تفهمون ، اننى بين الفينة والأخـرى احدث نفسى بان اغلق كنيستنى وآلم حاجياتى واذهب. وابقوا بلا كنيسة ولا دين .

الشاب : ولكن هذا يتناقى مع تعاليم الانجيل .

الراهب : لا يا سـيدى بل ان تعاليم الانجيـل هى التى تامـر بذلك ، وقولك هذا يدل على انك لا تقرا وهذا برهان على عدم استعدادكم للفهم .

الشاب : ان ما تمـر به شيء طبيعى ، والاســتقلال شيء طبيعى ايضا ، وهو ثمن لما سنحصل عليه فى المستقبل .

القس : هاها الاستقلال دعنى هادئا كل البلاء آتى من الاستقلال. ولا ادل من هذا الحوار على مدى تعثق المبشر الغربى لحرية المواطن الافريقى وتقدمه واستقلاله ، ولا ادل ـ كذلك ـ على وشائج الفكر والقلب والوجدان ، تلك التى تشد المبشرين الى اخوانهم المستعمرين يقول محمود

القاسم :ويتكرر نقاى كهذا اذا اجتمع بلجيكى مع اى انسان كونغولى أو غريب .

فاذا ما تركنا غرب افريقيا ووسطها واتجهنا شرقا لنرى ما تفعله المؤسسات الصليبية وساستها هناك ضد المسلمين فاننا سنرى الكارثة تزداد فداحة ، والماساة تزداد وضوحا ، حيث تركة الاستعمار البريطانى الخبيثة المعقدة ، وحيث مخططات لندن التى لا تدع بلدا تغادره ظاهريا يفلت من بين يديها قبه مرور قرن من الزمان وحيث المؤسسات التبشيرية ترمى بكل ثقلها ونفوذها هناك، تحت حماية وتوجيه هيلاسيلاسى رائد الوحدة الافريقية ، وحيث يتحول النشاط التبشيرى هناك الى حركات عصيان وتمرد ضد الدول ذات الطابع الاسلامى ـ وحيث هذا هو الانكى ـ الثورات والانقلابات الصليبية الدامية المدمرة التى راحت تجتاح الوجود الاسلامى فى المنطقة باسم اليسار والتقدم ، ومن ورائها قوى الاستعمار الجديد والصليبية الحاقدة اللذين سخروا كبار عملائها فى المنطقة لكى يلبسوا لبوس التقدمية واليسار ، وينقضوا، وحشية دامية لم تشهدها عصور الغاب ، للانتقام من المسلمين هناك وابادة أكبر [مقدار] يمكنهم أن يبيدوه منهم .

وليست مذبحة زنجبار التى قتل فيها ثلاث وعشرون ألف مسلم من مجموع ستة وعشرون الفا ، أو تمرد جنوب السودان ، أو أرهاب هيلاسيلاسى ومجازره الدامية ، أو تسلط الحكومة التشادية المسيحية على رقاب الكثرة المسلمة ، بمساندة القوات الفرنسية ، ليست هذه كلها سوى حلقات معدودة فى سلسلة طويلة بدأت مع دخول أول رجل أوربى لاستعمار افريقيا او

التبشير فيها .. وستظل تمتد وتمد ، تعزل المسلمين وتقتلهم ، تبيع دمائهم وتستحيى نسائهم ، تدمر أمنهم وتسحق سلامهم ، تفصلهم عن لغتهم وتفتنهم عن دينهم ، تحرق مساكنهم وتبيد قرأهم تكنس شيوخهم وتعلق شبابهم على رؤوس الاشجار وتحيل نسائهم الى أماء وجوار فى قصور السادة والمبشرين والحكام .. ستظل السلسلة الجديدة القاسية تمتد وتمتد تحميها منطقة الوحدة الامريكية ، عفوا الأفريقية ويباركها هيلاسيلاسى ابن البابوية البار ، وعميل الاستخبارات الأمريكية المخلص ، وسيط اليهود الحريص ..ستظل السلسلة تمتد وتمتد ، وحكامنا هناك غافلون عما يجرى أو متغافلون ، يستقبلون بين الحين والحين زعيما أفريقيا بالقبلات والاحضان ، أو يروحون بأنفسهم لزيارة عاصمة أفريقية لكى يتلقوهم بدورهم بالقبلات والأحضان .

يزورون ويزارون من قبل نفس الزعماء الذين يقتلون أخوانهم ويفتنونهم عن دينهم .. نفس الحكام ـ الأصدقاء ـ الذين يصنعون حلقات السلسلة التى ستمتد وتمتد حتى يجىء اليوم الذى يعلن فيه ، ربما فى أديس أبابا وفى بناية المنظمة التى انشأتها أمريكا عن تصفية الوجود الاسلامى فى أفريقيا السوداء ، وعن تهيئة الطريق لاعلان قيام الوحدة الأفريقية التى طال عليها الأمد .. وحدة صحيحة متجانسة لا مسلمين فيها ولا عربا .. وحدة تباركها البابوية ، وتحميها دول الغرب الكبرى ، وينفذ مراسيمها حكام صغار لا يجرأون على رفع رؤوسهم لكى يروا ، يروا فحسب ، أن الذين يسيرونهم هم أعدآء دينهم ودولدتهم ووجودهم ..

ما أن أستقلت معظم بلاد شرقى أفريقيا ، أستقلالها المزعوم حتى أخذت البعثات التبشيرية من مختلف بلدان أوربا وأمريكا تزيد نشــاطها .. وراحت تنثال على القارة بأعــداد كبيرة وخطط جديدة ، حاملة معها الأموال والأغذية ، مستقدمة عددا ضخما من الأطباء المبشرين والقسس وكما تقول جريدة

[أن أفريقيا الدكتور لفنفستون والسفر الطويل على الاقدام بين الغابات والصحارى ، لا تعرفها الجمعيات التبشيرية الحديثة . وأن بعضهم اليــوم يستعمل الطائرات ليصــلوا الى الجماعات التى يعملون فى أرضها وآخرون يسافرون فى بيوت متنقلة مجهــزة تجهيزا طبيا .. وبعضهم يبلغ بهم الأمر ، مثــل اللوثريين فى أثيوبيا ، أن يستعملوا أجهزة أرسال لاسـلكية قوية لنشر رســائلهم [أن المبشرين الذين ما زالوا يفدون للعمل فى أفريقيا هم دائما طراز من الرجال على درجة عالية من التخصص فى الشؤون الدنيوية وكذلك فى الأمور الروحية ويوجد اليوم أطباء مؤهلون تأهيلا عاليا ومــن بينهم جراحون أفذاذ فى المراكز التبشيرية النائية . وهناك مهندسون منهمكون فى تنفيذ برامج جريئة فى الزى والكهرباء ، وآخرون من الزراعيين المؤهلين . يحاولون أن يرفعــوا مــن مســتوى قبــائل بكاملها عن طريق أدخال محاصيل جديدة ، أو أساليب زراعية أفضل ، ويبدوا أن الأفريقيين أنفسهم ما زالوا يكنون احتراما أكبر للــكاهن الذى لا دراهم معــه ، والذى كان يقنع بانه يعيش بينهم وياكل طعامهم ، أكثر من احترامهم لأعضاء الجمعيات القوية ومواعظهم الباهتة . وأسطولهم الجوى الذى يشقون به طريقهم فيما كان يعرف بافريقيا الظلماء . ذلك أن الأفارقة ، ربما أحسوا

أن مظاهر التنمية والاعمار هذه لا يراد بها وجههم ، وأنها ربما تخفى وراءها هدما ودمارا رهيبا اذا ما اقتضى الأمر بذلك .

وقد ورد فى تقرير للمجلس المركزى لمسلمى كينيا أن فى مدينة نيروبى ـ العاصمة ـ وحدها أربعين كنيسة مبنية بناء حديثا يقابلها للمسلمين ثمانية مساجد قديمة وفى حالة مهلهلة . كما ذكر التقرير [أن الجمعيات التبشيرية تشترى أفضل المواقع لتقيم عليها أبنيتها . وعلى واحد من هذه المواقع أقامت عمارة ضخمة من عشرة طوابق تشغلها رئاسة المجلس المسيحى الكينى ، يقابلها مكتبنا الصغير المستأجر الذى لا يتسع لتادية أعمالنا] ولعل الرسالة التى بعث بها السيد / جمعة مبوندا . نائب رئيس المجلس المركزى لمسلمى كينيا ، الى المركز الاسلامى فى جنيف عام ١٩٦٤ ، تلقى أضواء أوضح على النشاط التبشيرى فى شرقى أفريقيا ، وعلى الظروف الصعبة التى يعيشها المسلمون هناك . وقد جاء فيها : [.. بين الاستقصاء Survey الذى أجريناه] ان الجالية المسيحية قد وجدت نفسها تحت لواء الجمعيات الكبيرة التالية :

[ا] الكنائس المسيحية لمجلس الكنائس فى كينيا .

[ب] المجلس العالمى للكنائس المسيحية .

[ج] البعثة التبشيرية للروم الكاثوليك .

[د] كنائس اسرائيل . وهذه الجمعيات تمول تمويلا جيدا من روما وبريطانيا والقدس المحتلة وأمريكا وفرنسا . وأن مقدرتهم على استعمال دعوتهم التبشيرية فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى للسكان تخلق صعوبات عظيمة فى وجه تقدم

المسلمين المواطنين فى هذه البلاد .. أن ضيق المسلمين بوضعهم تحت رحمة الآخرين من موظفى الخدمات الاجتماعية المسيحية ، وذلك عندما يبحثون عن التعليم والمساعدات الاخرى .. وأننا ان حصلنا على مساعدات خارجية فسوف نستطيع أن نتحرك بسرعة لمواجهة النشاط المسيحى والدعاية الدينية الاسرائيلية المتزايدين وأن نفعل شيئا ذا بال لأستنفاذ الثقافة الاسلامية والأمور الدينية فى هذه البلاد .

وفى التقرير الذى كتبته الدكتورة زهيرة حافظ عابدين التى دعتها هيئة الصحة العالمية بالاشتراك مع هيئة اغاثة الطفولة الدولية ، لجولة فى أقطار افريقيا الشرقية ، ضمن ستة أطباء أطفال ، للاطلاع على ما يبذل هناك من جهود صحية واجتماعية .. فى هذا التقرير نلتقى بمزيد من الحقائق عن مآسى المسلمين هناك فى مجابهة النشاط الصليبى : [أن هذه البلاد وأن كانت مفتقرة عموما الى معاونة كثيرة للارتقاء بالتعليم على انواعه ، والنواحى الاجتماعية والصحية ، واستصلاح الأراضى وزيادة الدخل .. الخ فان مسلمى هذه البلاد خصوصا يقاسون ظلما اجتماعيا يدعو للاسف والحسرة . حتى فى البلاد التى تتمتع باكثرية مسلمة ك [تنجانيقا] وتعدادها حوالى ١١ مليون منهم أكثر من ٦٥ ٪ مسلمين . الحاكم مسيحى وجل الوظائف الحكومية يشغلها مسيحيون اما المسلمون فانهم فى فقر وجهل وذل اجتماعى ، ويرجع ذلك لسياسة المستعمر وأساليبه فمنذ دخل المستعمر هذه البلاد داب على نشر المسيحية والعمل على القضاء على الاسلام [سواء لأغراض دينية بحتة بالغة فى الانتقام للحروب الصليبية ،

او لاغراض دينية ممتزجة باغراض سياسية وهو الغالب] ، وذلك على النحو الآتى : تقوم بالتعليم مدارس تبشيرية يتجنبها عادة المسلمون الذين لبثوا فى حالة جهل ، فى حين تخرج من هذه المدارس طائفة الأفريقيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وأسندت اليهم القيادات ، وشتى الوظائف الهامة . وضع القيادات العليا فى يد افريقى مسيحى حتى فى البلاد التى يكون المسلمون فيها الاغلبية كما قلت . ولقد علمت أنه أول ما دخل الانكليز أوغندا عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانونا بالا يتولى الحكم الا مسيحى . الى جانب هذا تغلغلت البعثات التبشيرية فى كافة أنحاء هذه البلاد تشيد المدارس ودور الحضارنة [التى تربى الأيتام وأولاد الفقراء على المسيحية] والمستوصفات ، وتساندها الآن الهيئات المختلفة [هيئة اغاثة الطفولة الدولية] [هيئة الصحة العالمية] وهيئة [نافيلد] و [روكفلر] .. الخ والجامعات والعلماء والأطباء .. كل هؤلاء يعمل على نشر المسيحية تحت ستار العلم ، ويساند الهيئات التبشيرية بشتى الطرق المدروسة المنظمة وهكذا نجح المستعمر فى تحويل جل ، بل كل القبائل اللادينية الى مسيحية ، [فى أوغندا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٨٥ ٪ مسيحيون الآن ، وفى كينيا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٦٥ ٪ مسيحيون] ، ولم يبقى سوى قبائل قليلة لا تعتنق ديانات سماوية . وهنا أريد أن أوضح أن المجهود التبشيرى يركز على بث روح عصبية وكراهية للمسلمين وكبرياء عليهم ، أكثر منها روح دينية ، وخلق سليم ، فهى مسيحية اسمية يسمح فيها بتعدد الزوجات .. الخ ، ما دام الشخص مسيحيا بالاسم ، ويذهب الى الكنيسة ويحقد ويتعصب ضد المسلم ويشعر بافضلية عليه هذا وقد اتخذت أساليب شتى

لاشعال روح الكراهية بين الأفريقيين المسيحيين والأفريقيين المسلمين من ناحية ، وبين الأفريقيين عموما والعرب المسلمين عامة من ناحية أخرى . فعملت دعاية كبيرة حول استبعاد وتسخير العرب الأفريقيين فمثلا فى صالة الاجتماعات الشهيرة فى اديس ابابا ، أول ما يسترعى النظر فى شباك زجاجى كبير بجوار السلم الداخلى رسومات ملونة تمثل العربى بعقاله يقود جماعة من الزنوج الافريقيين ، مربوطين بعضهم ببعض بالسلاسل .. وصورة أخرى تمثل هؤلاء الزنوج يفكون عنهم هذه القيود ويتخلصون من هذا العربى الظالم العاتى .. وحوالى نصف متحف [تنجانيقا] ب [دار السلام] عبارة عن صور فتوغرافية ورسومات تصور هذا المعنى ولقد قيل لى أن الأفريقى الآن يتعلم ويشبع بخطر المسلم ، ويقال له أن خطر المسلم والعربى أكبر من الخطر الشيوعى ، أما الأقلية من الأفريقيين المسلمين الذين ينالون قدرا من التعليم العالى [ثانوى أو جامعى] فالجهود منصبة على أفسادهم خلقيا .. مما يجعل تعاليم الاسلام أقرب للخيال منها للواقع ، ويجعل المسلم مسلما بالاسم لا غير . أما المسلمون الفقراء والجهلاء فقد بدأ بعضهم بالاغراء وللحاجة والفاقة ، يتحول فعلا الى المسيحية [كما علمت أن نسبة المسلمين فى تنجانيقا] كانت حوالى ٨٥ ٪ والآن ٦٥ ٪ فقط . فالمسلم الأفريقى عموما معرفته بدينه سطحية نظرا لجهله باللغة والدين .

فاذا ما أردنا – بعد ذلك – أن نعرف الوجه الآخر للنشاط التبشيرى فى شرقى أفريقيا ، الوجه السياسى والانقلابى ، فان ثمة أمثلة وتجارب وأوضاعنا عديدة تبرز أمامنا ، ربما كان تمرد

جنوبى السودان أشدها وضوحا ويمكننا أن نضع أيدينا على أبعاد هذه المسألة من صحف السودان نفسها ، ومن التقارير لكبار الخبراء والمسؤولين والمراسلين الصحفيين . فقد جاء فى التحقيق الذى نشرته جريدة الميثاق الاسلامى السودانية ، فى عددها ٥١ ، ٥٢ الصادرة خلال تموز عام ١٩٦٥ عن مشكلة جنوب السودان [أننا ننظر للجنوب كمركز للنشاط] مجموعة من الشبان الطموحيين المستغلين لبذر بذور الحقد والكراهية الذين يريدون أن ينشئنا دولة أواسط أفريقيا المزمع انشاؤها والتى كانت تعمل لها الكنيسة بكل ما أوتيت من قوة حتى تعزل الشعب الاسلامى الكبير المنتشر فى أطراف القارة ، وفى شمال خط عرض ١٠ درجة حتى أقصى شمالها ، وبذلك يتسنى لها وجود مركز كبير تدير منه نشاطها ، التبشيرى الموجه لبقية أجزاء أفريقيا . والى هذا أشار المؤرخ الانكليزى ب . م . هولت فى كتابه [تاريخ السودان الحديث] [ص ١٤٩] كما أشار اليه بروفيسور [ليبون] اليهودى ، عميد كلية الأداب بجامعة الخرطوم سابقا ، فى محاضرة القاها فى أروقة الجامعة حيث قال [أن السودان سيتطور تطورا ملحوظا سنة ٢٠٠٠] .. هذا فى الجزء الشمالى . أما فى الجزء الجنوبى فانه سينفصل وينضم الى دولة ستنشأ يومئذ وأسمها [دولة أواسط افريقيا] .. وسياسة حزب المعارضة باوغندا والدولة الجديدة فى زنجبار ـ الملحقة بتنزانيا ـ لا تدع مجالا لأحد أن يشك فى وجود تلك الفكرة ومن هنا نلاحظ حرص بريطانيا الشديد على اتحاد روديسيا ونياسالاند ومجهوداتها لخلق رابطة قوية من أوغندا وكينيا على أساس تمكين عملائها من الأجهزة الحكومية وأبعاد ومحاربة الوطنيين الأحرار الراعين .. وتسليط

المستعمرين الاضواء على هيلاسيلاسى وخلفه كبطل وقائد لهم ، ما هو فى الواقع الا امتداد لهذا التخطيط . ودور الكنيسة فى جميع هذه الدول هو تعميق الخلاف الدينى بين الزنوج وبين المسلمين المنافسين الوحيدين لها الآن فى افريقيا ، وخلق شعور قوى زنجى - فى الوقت الحاضر - يخشى اعادة نظام الرق ، ويدخلون فى روعهم أن الرق ناجم خطره من المسلمين العرب . ويساعد على كل هذا الشعور بالنقص المتمكن فى نفوس هذه العناصر .. زد الى ذلك الاغراءات بالمناصب الكبيرة التى سينالها الشبان المثقفون العاملون فى الدولة المزمع انشاؤها وعلى هذا فان الكنيسة والقوى الاستعمارية تقوم بتقديم جميع التسهيلات - المادية والأدبية - عن طريق حكومة الاحرار لجنوب السودان وغيرها من الحكومات التى ترضخ لسيطرتها لتقوم بتنفيذ البرامج الموضوعة .. وخطة فصل جنوب السودان وضمه لدولة [أواسط افريقيا] المزمع تكوينها تقوم على مراحل عديدة . أولها سياسة العزل الاجتماعى بين الشمال والجنوب حيث لعب الانكليز دوراً حاسما فى هذا المجال ، ثم يأتى دور المرحلة الثانية وتقوم على تكوين حكومة للجنوبيين فى المنفى [باوغندا] الآن وربما تنتقل الى أثيوبيا أو كاتنجا بعد حين . تتلقى هذه الحكومات مساعداتها من الكنيسة وعملائها - كهيلاسيلاسى مثلا - ومن وزارة المستعمرات البريطانية وكل الحاقدين على السودان كاسرائيل وجومى - سابقا وربما تمبل باى - رئيس تشاد المسيحى - بعد حين ومهمة الكنيسة الرئيسية - فى الماضى والحاضر - هى تقديم كل المساعدات الضرورية والاستمرار فى تحريض المتعلمين حتى تتأكد من أن أرواحهم المعنوية

مالية وأنهم يقومون بدورهم كاملا .. وتقوم بكل ذلك تحت ستار العطف على حمايتهم من الظالمين كما تقتضى تعاليم المسيح عليه السلام .. أما وزارة المستعمرات البريطانية وعملاء الكنيسة وأعداء السودان فان مهمتهم ، الى جانب العون المادى ، كسب العطف الخارجى للحركة ، وضمان سلامة بقائهم باوغندا ومدهم بتذاكر السفر عندما تنتقل المعركة الى خارج البلاد وكل هذا يعمل فى خفاء تام وبواسطة بعض الأجراء المخلصين حتى لا تنفضح خططهم الاستعمارية . وفى الوقت ذاته تعمل الوسائل الدبلوماسية للضغط على حكومة السودان لكيلا تقدم على طرد المتبقى من القسس المشرفين على الخطة والمحرك الأساسى - من البلاد ، لان طردهم يعنى فشل الحركة - ثم ياتى دور الخطة العسكرية - .. ومما يزيد دور الكنيسة فى حركة جنوب السودان وضوحا ، النبأ الذى قامت حكومة السودان بنفيه رسميا فى تشرين الثانى عام ١٩٦٥ ، والذى اذاعه راديو الفاتيكان من أن الجيش السودانى قتل فى واد [ارينيو دور] النائب الاسقفى فى مديرية [بحر الغزال] ، وقالت فى معرض نفيها ان الاسقف يتمتع بصحة جيدة ، وقد دهشنا لسماع الخبر بوفاته .

وفى رسالة من [لوستر هوفن] بالمانيا الغربية لعبد الرحمن ناولو ، ايضاحات أخرى حول دور الكنيسة المكشوف فى مشكلة جنوب السودان ، ويقول : [فوجئت فى صحيفة Passaner bistams Platt الكاثوليكية المحلية التى تصدر بمدينة [باساو] بمقال عن السودان ملىء بالصور ومعنون بالخط الاحمر العريض : [حرب ابادة ضد المسيحية فى السودان - كفاح البلاد الشيوعية للكنيسة صورة لمكافحة حكومة السودان للكنيسة]

.. ولقد ملىء المقال بالشتائم وبحملة لئيمة على السودان المسلم حكومة وشعبا ودينا .. فكتبت الى الجريدة المسيحية موضحا الحقائق ولكنها لم تنشر كلمتى] .. هذا وكانت الصحف الأوربية قد درجت على افساح المجال لحملة منظمة ضد السودان منذ عام ١٩٦٢ . وطفقت تلك الصحف تصور ما أسمته باضطهاد المسيحيين فى جنوب السودان تحت عناوين ضخمة بارزة . وفى التحقيق الذى نشرته مجلة [الديلى تلغراف] الاسبوعية الصهيونية عن جنوب السودان فى عددها ١٨٦ الصادر فى ٢٦ نيسان ١٩٦٨ ، مثال واضح لتلك الحملات ، اذ جاء فى الصفحة الأخيرة من التحقيق تحت عنوان [تاريخ العبودية] : [.. فى السودان عنصران لا يجمعهما عمليا شىء مشترك ، بصرف النظر عن الخط الذى رسم حول أراضيهم بعد انتصار [كتشنر] فى [أم درمان] منذ أقل من سبعين عاما .. وقد كان سكان الجنوب وتعدادهم ثلاثة ملايين ونصف ، لقرون عديدة المادة الخام لتجارة الرقيق التى تمركزت فى القاهرة والخرطوم . ولقرون عديدة أيضا أعتبر الشماليون الجنوبيين لا شىء أكثر من عبيد سواءا كانوا فعلا عبيدا أم أن بالامكان أن يصبحوا عبيدا . وأثناء جيلين من الحكم البريطانى بقى وضع المستعمرة القديمة معلقا ، ولم تبذل الادارة البريطانية أى جهد لدمج جزئى القطر حتى آخر لحظة .. وعندما سلمت بريطانيا السودان كله فى عام ١٩٥٦ ، كقطر سياسى مستقل ، الى الأحزاب الشمالية التى يسيطر عليها العرب ، اصبح السودان جميعا ـ رسميا ـ مصبوغا بالصبغة الاسلامية . وبقى التعبير الشائع فى أفواه الشماليين عن أهل الجنوب كما هو : [عبيد] .. وفى عام ١٩٦٣ [عندما قام التمرد فى الجنوب]

أجابت الخرطوم على ذلك بأن أطلقت يد الجيش هناك ، وعندها قامت حملة ارهاب ورعب أدت الى مغادرة رجال القبائل الجنوبية الى الكونغو وأوغندا وأثيوبيا بصفة خاصة ، وربما قتل عدة آلاف من الجنوبيين ، وأحرقت مئات من القرى المبنية بالطين والقش ، وفرت أعداد تتراوح بين مائتى ألف وأربعمائة ألف . وقد أدارت منظمة الوحدة الأفريقية ظهرها - غالبا - لكل دولة عضو فيها تجابه معضلة انفصالية من نوع ما . والجنوب كله اليوم مشتبك فى القتال وليس من المحتمل أن يبدأ من أجل شىء أقل من الانفصال .

ولكن ما هى البذور التى غرستها المؤسسات الكنيسية والاستعمار فى أرض السودان ، والتى أنبتت ، فيما بعد ، هذه الثمار المرة التى يعانى منها السودان ، والتى تهدد بالانقسام فى كل لحظة - أنها فى الحقيقة - قصة كل دولة فى أفريقيا ، نفس البذور ونفس الثمار ، والزارع هو الزارع - الاستعمار والتبشير - أما حراس الزراعة فهم حكامنا انفسهم أولئك الذين لم يعدوا يوما أن يكونوا كخيالات المآتة التى يضعها المزارعون فى بساتينهم كى تحمى بذورهم ونبتهم الذى لم يستو على سوقه ، من جوعات الطيور . ولنقرأ القصة من سطورها الأولى :

جاء المبشرون الى السودان - حسب العادة - مع المستعمر فى وقت واحد ، وتمكن الاسقف [جوين] الذى يعتبر مؤسس المدارس التبشيرية فى السودان أن يؤسس عددا كبيرا من المراكز التبشيرية تحت رعاية السلطات الاستعمارية . وقد قامت هذه السلطات بعزل جنوب السودان عن باقى القطر ، وكان يعتبر

منطقة مقفولة أمام المواطنين الشماليين ، ولا يستطيع الانسان أن يسافر الى الجنوب الا باذن خاص ولم يكن يسمح للمسلمين مطلقا أن يبشروا بالاسلام بين القبائل الوثنية بل لم يكن يسمح لهم بتادية شعائرهم الدينية علنا خوفا من اقتداء الوثنيين بهم . هذا فى الوقت الذى كانت تبذل فيه الحكومة كل المساعدات للتبشير المسيحى وعمل المبشرون بنشاط ، ونصروا عددا كبيرا من الجنوبيين [٣ ملايين] وكانوا يتمتعون بسلطات واسعة ونفوذ كبير تحت حماية الاستعمار ، فالمال وافر بايديهم ، ورغباتهم مجابه ، وكل امكانيات الدولة مسخرة لخدمتهم ، حتى التعليم تركه الانكليز فى أيديهم . فبدلا من أن تتولى الحكومة الاشراف على التعليم تولاه المبشرون . وما دامت الفرصة الوحيدة فى الجنوب هى المدارس التبشيرية ، فقد ضمن المبشرون تنصير كل العدد الذى تستوعبه مدارسهم . وهم يأخذون الأطفال منذ نعومة أظافرهم فى مدارسهم حتى المرحلة الوسطى . والعجيب أن وزارة المعارف كانت تدفع ٩٨ ٪ من نفقات المدارس التبشيرية ولا تشرف عليها ، ومعنى ذلك ان أموال الشمال كانت تنفق على تنصير أبناء الجنوب . أما فى الشمال فقد كان الوضع يختلف قليلا فقد كانت توجد المدارس الحكومية الى جانب المدارس التبشيرية ، والمدارس الحكومية كانت ملزمة بتدريس الدين الاسلامى لسبب بسيط هو أن جميع الطلاب مسلمون .

اما الطلاب فى المدارس التبشيرية فكانت المسلمة لا تجد الفرصة لدراسة الدين الاسلامى لأن المدارس التبشيرية لا تسمح بذلك . وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، فان التلاميذ المسلمين كانوا يجبرون على قراءة الانجيل وحضور دروس الديانة المسيحية ..

وخريجو هذه المدارس على العموم لا يعرفون أبسط مبادىء الاسلام ويجهلون التاريخ الاسلامى جهلا تاما . انهم لم يصبحو مسيحيين ولكنهم جردوا من كل علم بالاسلام . ولكأنما شعر المبشرون بأن الاستقلال [١٩٥٦] يعنى انتهاء الوضع الممتاز بالنسبة لهم وزوال الحماية الانكليزية التى وجدوا فى ظلها الحرية المطلقة فى احتكار التعليم . ان مجرد المساواة فى الفرص وحصول المسلمين على امتيازات مماثلة أدخل الذعر فى نفوسهم .. ولعل هذا هو سبب التمرد .. وجاء الاستقلال وظهر بوضوح أن عددا كبيرا من المبشرين لم يشأ أن يتخلى عما كان يمارسه للاستعمار من نشاط سياسى ، فكان لا بد من وضع حد لهذا العبث ورسم خط فاصل بين التبشير والعمل السياسى ومن ثم أجيز قانون الهيئات التبشيرية سنة ١٩٦٢ . وقبل أجازة هذا القانون مارست وزارة المعارف حقها فى الاشراف المباشر على جميع المدارس التبشيرية وفق البرنامج التعليمى العام ، فثارت ثائرة الهيئات التبشيرية واعتبرت هذا العمل انتهاكا لحرية التبشير وغصبا لحقوقها التى تمتعت بها طوال عهد الاستعمار .

لم يطق الجنوبيون الوضع الجديد وأعلنوا تمردا أحبطته الحكومة السودانية التى كان هدفها من توحيد السودان شمالا وجنوبا هو تعريب الجنوب ـ ان لم نقل اسلامه ـ وفرضت اللغة العربية كلغة رسمية فىدوائر الحكومة والتعليم .. ولذا وجد كثير من المبشرين صعوبة فى استمرارهم فى عملهم بل المحافظة على أوضاعهم فالمبشرون الآن يعملون هناك فى ظروف صعبة .. ومن حسن حظهم ان عمدوا منذ عملهم هناك الى تدريب أبناء الجنوب المتنصرين على القيام بأعمال التبشير . وهكذا بالرغم من قصر

مدة العمل التبشيرى هناك وتاريخه لا يتعدى ستين عاما ، فقد عمدت الكنيسة الانكليكانية اثنين وثلاثين قسا وستة مبشرين افريقيين .. وهكذا الامر هو العمل الثابت المطلوب لابقاء طوائف الكنيسة كلها متماسكة امام ما ينتظرها من ايام حالكة السواد .

وقد بدأ تحسن ظاهر منذ مدة قريبة فى اوضاع التبشير فى السودان ، فبالرغم من ان الحكومة طردت مائة مبشر ، فقد تمكن مبشر انكليزى ان ينال تاشيرة اقامة دائمة فى السودان ويعيد العمل التبشيرى هناك .

وننتقل الى موزمبيق ، المستعمرة البرتغالية الممتدة على الساحل الجنوبى الشرقى لافريقيا .. صورة اخرى من صور الحصار القاسى الذى يعانيه الاسلام والعربية على ايدى قوات الاستعمار وزبانيته من المبشرين الذى ادركوا بوضوح ان اى تهاون فى هذا الحصار سوف يقرب ـ حتما ـ اجل الاستعمار والتبشير وينقل موزمبيق الى الحرية والخلاص ، ذلك بما يتمتع به الاسلام من قدرة فذه على تحريك اتباعه ضد قوى الغزو والتسلط والتعصب .. ودفعهم الى الثورة الدائمة والجهاد العنيف حتى تتحقق اهدافهم التى يلزمهم بها القرآن الكريم .

وفى تقرير عن الاسلام فى موزمبيق نجد كيف ان البرتغاليين اعتمدوا اربعة اساليب للقضاء على الاسلام وهى : استخدام القوة العسكرية والبوليسية ضد الزعماء الاسلاميين وبالاخص فى الشمال .. تعطيل الدراسات الاسلامية .. منع استعمال اللغة العربية ووضع جميع نظم التعليم بين يدى المبشرين الكاثوليك من البرتغاليين .. عزل جميع مسلمى موزمبيق عن الاتصال بالعالم

الاسلامي .. لقد كانت الضربة القاصمة للتعليم الاسلامى فى موزمبيق تلك الاتفاقيـة التى وقعتها البرتغال مع الفاتيكان سـنة ١٩٤٠ والتى تحول أمر تعليم الافارقة الموزمبيقيين بموجبها الى يد الكنيسة البرتغالية الكاثوليكية وقد طبقت هذه الاتفاقية تطبيقا فعليا بقانون التبشير الذى جعل أمر التعليم فى يد الكنيسة الكاثوليكية ، والذى جعل من المتعـذر على الجماعات المسـلمة فتح المدارس لتعليـم أبنائها . وهذا يعنى أن التعليم فىموزمبيق يصـبح ممـكننا فقط بالنسبة للجماعات المسيحية ، وما عداها فلا ، وبالتالى جعل عدد المسلمين المتعلمين قليلا جداً بالقياس للأقلية المسيحية التى هى أيضا لا تجد العناية التامة فى التعليم من الكنيسة . ان الوسـيلة الوحيدة للموزمبيقى المسلم فى التعليم هى أن يهاجر الى خارج البلاد ، وهـذا أمر متعـذر فى غاية الصـعوبة . وبينـما تميزت موزمبيق بروح الوحدة والتضامن بين مختلف عناصرها سـواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية ، بالرغم من المحاولات البرتغالية لاحداث الانقسامات فى السنوات الأربع الأخيرة ، فقد حاول بعض الافريقيين المغتربين الذين تلقوا تعليمهم فى الارساليات ، ثم تلقوا اعانات للدراسـة فى البرتغال ، ادخال عنصر معـاد للاسـلام فى موزمبيـق . لقـد أدرك هـؤلاء أن أيام البرتغاليين فى موزمبيـق محدودة ، وظهر بوضـوح عزمهم على الحلول محـل البرتغاليين كعنصر حاكم ، وبالتالى انشاء وضع كالذى شاهدناه فى عدد من البلدان الأفريقية حيث تسيطر عناصر من الأقليات المسيحية التى تلقت تعليمها فى الارساليات ، على الأغلبية المسلمة التى لا تملك حتى تلك النخبة من المتعلمين وقد تلقت هذه العناصر من الأفريقيين المغتربين المتجمعة فى منظمة تدعى [فريلمو] تاييداً حماسيا من

الاسرائيليين والأمريكان ومن بعض الاقطار الأفريقية المتأثرة بالاسرائيليين والتى تملك نظاما اجتماعيا كذلك الذى تريد منظمة [فريلمو] فرضه على موزمبيق اذا وجدت الفرصة لذلك . وقد أدركت عصبة مسلمى موزمبيق هذا الوضع والتهديد الناشىء عن التدخل الاسرائيلى ، ونقص المتعلمين وسط مسلمى موزمبيق ، واتخذت خطوات لتجنب الكارثة التى تنتج عن هذا الوضع . ويهدف برنامجها الى البحث عن عون الاقطار المسلمة لتوفير التعليم لشباب موزمبيق المسلم ، واعداد كادر قيادى من المتعلمين ، وهو أمر حيوى لتمكين الشعب المسلم فىموزمبيق من أن يلعب دوره الصحيح والطبيعى فى موزمبيق المستقلة ، علما بأن نسبة المسلمين فيها يبلغ الثلث ، بينما تبلغ نسبة المسيحيين بين ١٠ - ١٢ ٪ والباقى من الوثنيين .

أما مأساة المسلمين فى تشاد الواقعة الى الشرق من السودان ، والتى اطلعنا على بعض فصولها لدى استعراضنا للنشاط الصهيونى فى القارة ، فانها لا تقل مرارة عن مآسيهم فى أقطار أفريقيا الشرقية الأخرى ، سيما وأن القوات الفرنسية تتدخل باستمرار الى جانب حكومة الأقلية المسيحية لكبت ارادة الأكثرية الساحقة من المسلمين وهضم حقهم الطبيعى فى حكم وطنهم وأرضهم . ولقد طبق الفرنسيون هنا ما طبقه الانكليز والبرتغاليون وغيرهم ، فى البلاد الأفريقية الأخرى ، من اتباع أساليب التمكين لغير المسلمين وتوليتهم الحكم حتى يكونوا أداة طيعة فى أيديهم ، وحتى لا يقوى المسلمون ، وبالتالى لا يسود النظام الاسلامى الذى يعتبره الاستعمار الخطر الأكبر الذى يهدد سياسته وكيانه .

وقد كتب السيد جون كولى Joon Gooley مراسل جريدة [كريستيان ساينس مونيتور] من بيروت ، فى مقال تحليلى له عن علاقة السلطة المسيحية التشادية بالقوات الفرنسية فى مجابهة الثورة الاسلامية تلك التى تقودها جبهة التحرير الوطنى التشادى [فرولينا] قائلا : ان رئيس جمهورية تشاد تومبال باى قد طلب واستلم من الرئيس الفرنسى ديغول مساعدات عسكرية من القاعدة الفرنسية المتمركزة فى فورت لامى عاصمة تشاد . ان قطاع الطرق قد اجهزوا على القوة العسكرية لحكومة تشاد ، وذلك تبعا لما ذكرته وكالة الانباء الفرنسية .. ان [مسلمى] تشاد ، كأشباههم قبائل الهوسا المسلمة فى نيجيريا ، وكذلك المسلمين فى جمهورية النيجر ، يرفضون ان يقادوا من المسيحيين والوثنيين الجنوبيين [!!] هذا وان نصف الشعب التشادى ينتمى الى الاسلام [!!] وهؤلاء يبلغون ٣ر٥ مليون نسمة بينما تبلغ نسبة الوثنيين ٤٥ ٪ فقط .] ونحن نعرف مما ذكره T. H. P. Sqiler عميد الدراسات التبشيرية فى الولايات المتحدة فى كتابة The Moslim Faces The Fate ان نسبة مسلمى تشاد تبلغ ما بين ٧٠ الى ٩٠ بالمائة] . ويمضى المراسل الفرنسى قائلا : [والمسلمون عبارة عن خليط من سكان الجبال الشمالية والصحارى ، وهم ينتمون الى اصول عربية وبربرية ، بينما ينتمى الجنوبيون الى العروق الزنجية ، وهؤلاء الحاكمون الآن وهم يتكلمون الفرنسية . ان الرئيس تومبال باى ، وهو المسيحى ذو الثقافة الفرنسية ، قاد القطر نحو الاستقلال عن فرنسا [!!] ثم تبوأ الرئاسة عام ١٩٦٢ ، ومن المؤكد اعادة انتخابه من قبل

المجلس الاتحادى للانتخابات فى ربيع ١٩٦٩ [وقد انتخب فعلا] .. هـذا وأن حزبه الحاكم تقـدم تشـاد Prog. Tshadieme قد أقر الاتفاقيات الدفاعيـة مع فرنسـا والتى بموجبهـا تقاتل القوات الفرنسية الثوار المسلمين . كما أنه أقر فى مؤتمره الأخير المنعقد فى كانون الثانى ١٩٦٧ وضع الخطط لاستخدام المسـاعدة المالية الفرنسية فى مشروع تخطيط خمسى ينتهى فى سنة ١٩٧٠ . وينادى الحزب ببنـاء الطرقات فى المنطقة الجنوبيـة ، وهى التى يركز عليها الاهتمام فى التنمية . لكن المسلمين البدو المحافظين فى الشمال يشعرون أن سـلطات تشـاد تتجاهلهـم .. ان الاحـزاب السياسية الثلاث والتى يسودها المسلمون تعمل فى المنفى ضـد حكم تومبال باى .. وفى عام ١٩٦٥ ، وهو العام الذى سحبت فيه الحاميات الفرنسية من الشمال ، أقام الثوار المسلمون حكومة فى المنفى اسمها [جمهورية تشاد الاسلامية] ومركزها الخرطوم .. ثم بعد أشهر من قتال الحدود تحسنت العلاقات ما بين تشـاد والسودان فى عام ١٩٦٧ [!!] .. أما الجار الشمالى لتشـاد وهو ليبيا فانه لا يعطى أى اهتمام للمسألة ، فليبيا [الكلام عام ١٩٦٨] لا تود ازعاج مجهودات تومبال باى لتطوير دولته [!!] .. ولكن المسلمين الذين تقاتلهم الآن السلطات الفرنسية ، خاصة الفرقة الاجنبية French Foveign Legion لا يؤمنون بهذه الحدود ..

فاذا ما جئنا الى الصومال ، ذات الاغلبية المطلقة من المسلمين، فاننا سنجد أنه لم يكن بالامكان هنا تنفيذ لعبة [الاقلية المسيحية المثقفة الحاكمة للأغلبية المسلمة الفقيرة الجاهلة] كما حدث فى

معظم الأقطار الأفريقية ذات الأكثريات الاسلامية ، وأن كان المبشرون قد قاموا بنشاط محموم من أجل أيجاد هذه القاعدة المسيحية فى الصومال ، كى تتولى كراسى الحكم آثر خروج قوات الاستعمار القديم ، وفق الطريقة المعروفة .. كما أنه ليس بالامكان ـ كذلك ـ آثارة تمرد طائفى فى منطقة ما من البلاد ، اذ ليس هناك العدد الكافى من المسيحيين . وآذن فان خير أسلوب لتحطيم قوى المسلمين الصوماليين الحاشدة ، والتى تشكل خطرا على الوجود المسيحى فى شرق أفريقيا ، هو تمزيق الشعب الصومالى واقتطاع أراضيه ، وضمها الى الدول المجاورة ذات القيادات الصليبية وبخاصة الحبشة .. وامبراطورها الشجاع [!!] وهذا سيؤدى ـ بدوره ـ الى عزل الصومال واحاطتها بحلقة متينة من الأعداء ، كما سيؤدى الى تضييع طاقاتها وشلها عن العمل والتفكير على المستوى الاسلامى المطلوب ، باعتبارها رأس الحربة فى قلب أفريقيا الشرقية ، وذلك عن طريق اغراقها وتدويخها بمشاكل الحدود التى نجحت تجربتها فى عديد من الدول الاسلامية وعلى رأسها باكستان .. وكى يحكم الاستعمار والتبشير حصارهما ضد الصومال ، منعا وصول صوتها الى اخوانها العرب المسلمين كى لاتشكل معهم حلفا أو اتحاداً يهدد كيان الاعداء هؤلاء ، ونفخوا ـ فى الوقت ذاته ـ فى عقول حكامنا القريبين من المنطقة الا يلتفتوا الى اليد الصومالية الممتدة اليهم ، عبر الحصار ، تطلبمنهم اتحاداً أومساعدة أو عقد اتفاقيات سياسية او ثقافية ، أو ـ على الاقل ترجوهم السماح لها بالدخول الى جامعتهم العربية العتيدة .

[ان قصة تمزيق الصومال المسلم لا تختلف بشيء عن قصة تمزيق وطننا العربى ، فهى ترجع الى مؤتمر برلين الذى تقاسم فيه المؤتمرون الأراضى الصومالية ، بحيث استولت بريطانيا على الجزء الساحلى المشرف على خليج عدن وأسمته محمية الصومال .. واحتلت ايطاليا الجزء الجنوبى الذى عرف فيما بعد بجمهورية الصومال الحديثة .. وأخذت فرنسا ساحل الصومال الفرنسى ، واقتطعت بريطانيا جزءاً آخر هو الذى الحقته بكينيا لدى نيلها الاستقلال عام ١٩٦٣ والمسمى ب [انفدى] .. وأخيرا احتلت الحبشة نصيبها المسمى باقليم [أوغادين] .. وقد تم هذا كله فى نهاية القرن الماضى ، رغم أن بلاد الصومال كانت تتمتع بوحدة جغرافية وسياسية وتاريخية ، والسكان جميعا يتكلمون لغة واحدة ويدينون بدين واحد هو الاسلام ، ويتفقون فى اللون والتقاليد .. ولقد صاحبت هذه العملية حركة تبشيرية واسعة قوبلت من الشعب الصومالى باعلان ثورة عارمة حمل راية الجهاد المقدس فيها محمد بن عبد الله حسن استمرت ٢٥ سنة أحرزت خلالها انتصارات رائعة لازالت مضرب الأمثال .. وعندما وضعت الحرب الثانية أوزارها وانتصر الحلفاء على دول المحور ، عقدت بريطانيا مع الحبشة اتفاقا نص على اعتبار اقليم أوغادين منفصلا عن الحبشة وتتولى القوات البريطانية ادارته . وعندما بعثت الدول المنتصرة مندوبيها الى مقديشيو العاصمة سنة ١٩٤٨ لمعرفة رغبات الشعب الصومالى ، أجمع الشعب على أن تتولى الدول الأربع الكبرى ادارته تحت اشراف الامم المتحدة لمدة عشر سنوات تنتهى بالاستقلال التام . وبعد هذا عمدت بريطانيا الى مؤامرة شبيهة الى حد كبير ربما فعلته فى فلسطين ،

فسحبت قواتها من الاقليم الموضوع تحت وصايتها ، ومهدت لدخول القوات الحبشية اليه بعد اتفاقية سرية عقدتها مع حكومة الحبشة عام ١٩٥٤ .. ولقد قررت الحبشة وجوب اخضاع المنطقة الصومالية بالحديد والنار ، وارتكبت فى سبيل ذلك افظع الجرائم ، واستخدمت كل الوسائل الممكنة لمقاومة رغبات الصوماليين فى التحرر والانضمام الى الوطن الأم ، فأغلقت مكاتب حفظ القرآن ، واعتبرت تعليم اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون ، وقامت بسلسلة من الاعتقالات والنفى ، ورفضت أى مفاوضة على مبدأ تقرير المصير ، أسوة بما فعلته ارتيريا .. الأمر الذى أدى الى اشتعال نار ثورة مسلحة فى الاقليم بتاريخ ١٦ تموز ١٩٦٣ بقيادة الزعيم [مختل طاهر] ، وتقرر تاليف حكومة مؤقتة ومجلس أعلى لقيادة الثورة .. وتقف الدول الاستعمارية واسرائيل الى جانب الحبشة فى محاولتها افناء هذا الشعب المسلم الثائر ، ولقد اشترك الضباط الاسرائيليين فى المعارك التى دارت بين قوات الثورة والجيش الحبشى حيث تولوا تدريب هذا الجيش ورسم خططه ..

واذا ما انتهينا من تجوالنا السريع هذا بالحبشة ، فان المجال لن يتسع بحال من الأحوال لاستعراض وتحليل أبعاد النشاط الصليبى ومؤسساته التبشيرية والسياسية ضد مسلمى المنطقة خاصة وافريقيا عامة ، سيما وأن أبحاثا ومؤلفات عديدة كتبت عن هذا الموضوع ، فضلا عن الدراسات والتقارير والبحوث القيمة التى أصدرتها جبهة التحرير الأرتيرية بهذا الصدد .. ذلك أن هيلاسيلاسى ،تلميذ الفاتيكان وعميل الأمريكان المخلص ، لم يدع بافعاله وخططه وجرائمه زيادة لمستزيد ، طيلة العقود المتتالية

التى حكم فيها هذا الجزء الحيوى من شرقى افريقيا .. أما الوجه الثالث لهيلاسيلاسى : سبط يهوذا ، الوجه اليهودى ، فقد التقينا معه عبر استعراضنا للنشاط الصهيونى فى أفريقيا ، رغم أن هذا التفريق ـ الظاهرى ـ بين وجوه هيلاسيلاسى الثلاث لا أساس له من الواقع .. اذ تلتقى وتمتزج فى شخصيته ونشاطه دماء هذه الوجوه جميعا دون فواصل بينها ولا حدود : تلميذ الفاتيكان ، وعميل الأمريكان ، وسبط يهوذا .

ونكتفى هنا بان نشير الى ما يؤكده هيلاسيلاسى نفسه دائما من [أن الحبشة جزيرة مسيحية فى محيط اسلامى] وأنه اتخذ منها ـ كما يقول الشيخ محمد العبودى أمين عام الجامعة الاسلامية الذى زار ، الحبشة فى ظروف صعبة وكتب مذكراته هناك ـ منطلقا لتوجيه النشاط المسيحى الهائل الى داخل الحبشة والى المناطق الافريقية الأخرى القريبة منها ، وخاصة لتنصير الوثنيين الأفريقيين . أما بالنسبة للمسلمين فان النشاط التبشيرى فى الحبشة لم يحرز الا نجاحا جزئيا حيث استطاع تغيير دين بعض أطفال المسلمين الذين رباهم فى ملاجئه حتى أصبح يوجد بعض العائلات التى بعض أفرادها مسلمون وبعضهم مسيحيون .

ونظرة سريعة الى الأرقام التالية تبين لنا حجم هذا النشاط المسيحى وامكانياته العظيمة . فقد جاوز عدد المدارس التبشيرية المائة مدرسة تابعة لكل من الولايات المتحدة وايطاليا واسبانيا والبرتغال والسويد والنرويج وفرنسا وبريطانيا والمانيا . ويبلغ عدد مدارس الكنيسة الحبشية ستة وتسعون مدرسة ، ويزيد عدد المدرسين فى المدارس المسيحية كلها فى الحبشة عن ثلاثة آلاف

مدرس معظمهم من القساوسة والرهبان . وتتدفق المساعدات المالية على المدارس المسيحية من خارج الحبشة ، كما تملك الكنيسة الحبشية اقطاعيات كبيرة وأملاكا واسعة فى داخل الحبشة .. هذا الى أن المدارس الحكومية تعتبر فى واقعها مدارس تبشيرية اذ تدرس الديانة المسيحية فيها بشكل واسع .

وتعد الكنيسة القبطية ، التى تضمها قبيلة [امهرا] الحاكمة، المالك الرئيسى لمعظم الأراضى فى أثيوبيا ، وهى تدير نظاما اقطاعيا من مقاسمة المحاصيل Debt Peongge الأمر الذى يمنع أى تقدم زراعى .. ورغم أن المسلمين يكونون ٦٠ ٪ من مجموع الشعب الأثيوبى فانهم فاقدون لكل الحقوق الانسانية فلا يوجد من بينهم وزير أو حاكم أو سفير أو مدير فى كل أثيوبيا . وتبعا للتقسيمات الادارية لأثيوبيا فانها ، تضم ١٢ مقاطعة يحكم كلا منها امير Duke ولا توجد مقاطعة واحدة يحكمها مسلم ، حتى فى المناطق الاسلامية الصافية . وتنقسم كل مقاطعة من هذه المقاطعات الى ٧٤ قسما اداريا يحكم كلا منها حاكم ، ولا يوجد بين ٨٨٨ حاكم لهذه الاقسام مسلم واحد [!!] والمسلمون ـ فضلا عن ذلك ـ يعانون من أسوأ تمييز عنصرى فى التعليم ، بل من الحرمان الكامل من التعليم تقريبا . فمثلا من بين ١٤٠٫٠٠٠ طالب أثيوبى لا يوجد سوى ٢٠٠٠ طالب مسلم فقط ، أى بنسبة ١٫٠٤٪ . اما مقدرات المسلمين الاقتصادية ومزارعهم فانها تعانى من الاحتلال التدريجى على الطريقة الصهيونية ، من قبل الامهريين أو الكنيسة القبطية أو منهما معا ، الأمر الذى زاد من المساحات الحيازية للكنيسة القبطية حتى وصلت الى ٩٠ ٪ من المساحة الكلية

للاراضى الزراعيــة فى آثيوبيا .. ومن الأمثــلة على المناطق التى تتعرض لهذا الغزو الشديد : والو Wallo هرر Harar مروس Arossi ، جما Gimma هــذا وان معارضة ذلك الاحتلال يعرض الســكان المسلمين لنقمــة القوات المسلحة وللمجازر الجماعية كما حدث ويحدث فى فلسطين تماما ، واكثر من ذلك فان المسلمين يحولون الى نظام خدمة عبودى لم يعرفه التــاريخ فى آســوأ عصــوره ، وهو ما يطلق عليه نظــام Gabbars . وجميع المسلمين مجبرون على دفع ضريبة خاصة للكنيسة يطلق عليها Moralimcome فى نفس الوقت الذى يبذر فيه الامبراطور العجوز أموال المسلمين والدولة على بناء الكنائس فى مقدمة كل مدينة أو قــرية اســلامية ليعطى الأجانب تصوراً خاطئا . ومنذ اللحظة التى استلم فيها هيلاسلاسى السلطة وهو يستعمل كل وسائل محاكم التفتيش لتنصير المسلمين، ولذلك أغلق جميــع المراكز الاســلامية فى هــرر ، جمــا ، داوى Dawe وايفات Ifat ، بالاضافة الى مناطق أخرى كما منع تدريس اللغة العربية وضرب الستائر الحديدية على جميع المناطق الاسلامية ، فمنع زيارة العلماء المسلمين ، وقــد حاولت بعثة من الأزهر زيارة آثيوبيا فى عام ١٩٥١ فاجبرت على مغادرة المطار بعد ساعات من نزولها .

والأنكى مــن ذلك آن الامبراطور شــكل قبل عامين [١٩٦٦] لجنة برئاسته لتفسير القرآن باللغة الأمهرية وتحريفه ، رغــم آن المسلمين الأثيوبيين يقرأون العربية وهم امتداد عرقى وثقافى ودينى لقبائل الســودان .. كما أصــدر الامبراطور فى عام ١٩٦٠ قانونا

خاصا سماه Yafita Berk نفذ فى عام ١٩٦١ وفيه حرم المسلمون من الاحتكام الى محاكمهم الشرعية الخاصة . وليس لدى احداعتراض فى آن يسمى الدستور هيلاسيلاسى بما يشاء : كحامى الصليب المقدس Defender of the Holy Cross وذلك بالنسبة لقبيلة امهرة ، ولكن ليس للجماهير المسلمة المستباحة للقتل الجماعى والتنصير الاجبارى . ولقد ذكر المؤرخ المشهور Thomas Arnold فى كتابه [الدعوة الى الاسلام] : The Preoching of Islam [آن عدد الذين عمدوا Baptised عند تاليفه الكتاب ، قد قدر فى أثيوبيا ب ٥٥٠٠٠٠ مسلم . هذا وآن آذاعة أديس أبابا قد تحولت الى اقوى اذاعة آفريقية ، وبمساعدة تجهيزآت المخابرات الأمريكية تقوم ببث رسائل الانجيل كل يوم وطوال النهار الى كل افريقيا وباللغات الانجليزية والفرنسية والعربية والسواحلية ولغة شانبنفا Chanyanja ولغة ياروبا Yaruba بالاضافة الى عدد آخر من اللغات الأفريقية ، دون السماح بدقيقة واحدة لاذاعة القرآن الكريم .

اما الجيش فاحرى آن توصد آبوابه آمام المسلمين .. ويقول الحاج ابراهيم آحمد الهرى عضو المكتب التنفيذى لجبهة التحرير الصومالية آن آنتساب المسلمين الى الجيش الأثيوبى كان محرما عليهم الى وقت قريب حيث اصبح يقبل منهم بنسبة ١ ٪ وبشروط صعبة مع وضع العراقيل فى وجههم كى لا يصلوا الى مناصب

عاليـة . وهـذا لم يتم على كل حال الا بعـد ثورات وصـيحات واحتجـاجات كثيرة .. وأما التجارة .. فقـد كان معظمها بيـد المسلمين فاصدرت السـلطات الحبشـية قانونا غريبـا يحظر على المسلمين الاستيراد والتصدير الا عن طريق مسيحى حبشى . وبذلك ـ يقول الهررى ـ وجهت السلطات الحبشـية الـكهنوتية ضربة جديدة شنيعة للمواطنين المسلمين .